

إبراهيم عبد المجيد
حكايات ساعة الإفطار
بيت الياسمين
للنشر والتوزيع

حكايات ساعة الإفطار

٣٠ حكاية

إبراهيم عبد المجيد



أسم الكتاب:
حكايات ساعة الإفطار

أسم المؤلف: إبراهيم عبد المجيد

الناشر:
بيت الياسمين للنشر والتوزيع

الغلاف للفنانة:
ولاء محمود

رقم الإيداع:
٩٩٦٠ /٢٠١٢
الترقيم الدولى:
٩٧٨-٩٧٧-٦٤٠٢-٣٠-٠

الطبعة الأولى

الإشراف العام:
زياد إبراهيم

المراسلات:
٥٣ ش خيرت - ميدان لاظوغلى - عابدين
القاهرة - جمهورية مصر العربية.

البريد الالكترونى:
Baitelyasmin@yahoo.com
Ziadibrahim_2008@yahoo.com

تليفون:-
(+202) 27949885
(+202) 0111 00 94 62 5

حكايات ساعة الإفطار

٣٠ حكاية

رسائل من الجنة

جلس الأب في الصالة يقرأ القرآن في صمت. وضع أمامه حاملا من الخشب فوقه المصحف. الحامل من خشب الورد. معشق بالصدف الذي يشكل رسومات دقيقة لطيور تسبح في الفضاء ورثه من العصور الوسطي أبا عن جد، وكان صانعه قد ضمخه بعطر الكافور الذي لم يتلاش مع الزمن. كانت هناك نصف ساعة باقية علي مدفع الإفطار. وفي المطبخ كانت الأم والإبنة تجهزان الطعام والشراب الذي سينقلانه إلي الصالة بعد قليل. كان في المطبخ راديو صغير ينساب منه صوت الشيخ محمد رفعت يملأ الفضاء بالرضا. لكن الإبنة رأت دمعا يتسلل من عيني الأم التي راحت تمسحه براحة يدها. لم تتحمل الإبنة وهتفت:

– ماما.

ثم انفجرت باكية وانهارت علي مقعد صغير. تماسكت الأم واقتربت من الإبنة ووضعت رأسها علي صدرها وراحت تمسح عليها براحتيها وتقول:

– خلاص يارقية. حقك عليا. ماتعيطيش ياحبيبتي. أخوكي في أحسن مكان عند ربنا.

لكن الإبنة انفجرت في البكاء أكثر.

– بلاش بابا يسمعك يارقية. بابا مش مستحمل ياحبيبتي. يعلم الله حالته إيه دلوقتي في أول يوم رمضان وأخوكي مش معانا.

رفعت الإبنة رأسها وقالت باكية:

– ليه كده ياماما.أخويا كان جميل أوي.

– حكمة ربنا يارقية. ربنا سبحانه وتعالي هو اللي بيختار. اختار الشباب الحلوين كلهم. فاكرة صورهم. كلهم بيضحكوا مبسوطين. دول رايحين الجنة يارقية.

– لكن انتي مش قادرة تنسي ياماما.وفي المدرسة بتكتبي كل يوم علي السبورة تاريخ اليوم ٢٨ يناير ٢٠١١. «مس هبة» زميلتك قالت لي كده وكانت بتعيط علشانك.

وقبل أن ترد الأم سمعا الأب يهتف من الخارج بصوت عال:

– يارقية. يا أم رقية.

هتفت الأم في هلع:

– باباكي.

وجرت خارجة وخلفها رقية، فوجدتا الأب جالسا في مكانه زائغ النظرات. المصحف أمامه فوق الحامل مفتوح، وفوقه مظروف أبيض شاهق البياض يشير إليه في رعب.

نظرا إلي المظروف في دهشة فقال:

– جواب من مصطفي.

تبادلت الام والإبنة النظر في قلق علي الأب الذي قال وهو يشير إلي النافذة النصف مفتوحة في ذهول:

– دخل من هنا وحط لي الجواب.طائر عمري ما شفت زيه. دخل رفرفرف ملا الصالة بريحة المسك وحط لي الجواب وطار. شامين الريحة؟

قالت الأم بعد أن جلست جواره تبكي:

– خايفة عليك يابو مصطفي. ليه بتعمل في نفسك كده بس؟ إبننا عند ربنا.شهيد يابو مصطفي مع الصديقين والأنبياء.

لكن رقية كانت أمسكت بالمظروف الذي بدأ ينفتح وحده بين يديها، فوضعته مكانه علي الفور وهي ترتعش، والأم والأب ينظران إليه إذ راحت تخرج منه زهور بيضاء جميلة تطير في الصالة، فتراجعت رقية وجلست جوار أبيها الذي راح يحيطها وأمها بذراعيه ويتمتم. بسم الله الرحمن الرحيم..بسم الله الرحمن الرحيم.والزهور البيضاء تتوالي في الخروج تملأ الصالة وتسبح في فضائها وتنشر رائحة المسك العتيق، وصار بعضها يطير الي النافذة نصف المغلقة تتزاحم للخروج وتغرد كعصافير الفجر. هتف الاب «افتحي الشباك يارقية علي الآخر». أسرعت رقية وسط الزهوروفتحت النافذة، فتدافعت الزهور في الخروج إلي الفضاء تملأه وينتشر عطرها في الشوارع، والأب والأم متجمدان أمام المظروف الذي لا ينقطع خروج الزهور منه، ورقية بدورها عادت مرعوبة من عند النافذة، وجلست من جديد جوار أبيها لا تصدق ما يجري. في الخارج. انفتحت نوافذ كل البيوت التي انتشر فيها العطر فجأة ولم يعرف أحد مصدره حتي زاد، فخرج الناس جميعا يرون الزهور تسبح أمامهم ويرونها من بعيد تخرج من نافذة أبو مصطفي. هكذا صار كل من تأخر في الخروج إلي النافذة أو الشرفة يخرج مسرعا، وكل من كان مسترخيا يخرج، وكل من كان أمام التليفزيون يخرج، ليملأ صدره بهذه الرائحة القادمة من الجنة. وزاد ت الزهور في الفضاء بشكل كبير، وراحت تدخل من النوافذ والشرفات الي البيوت تنشر عطرها وتخرج. ولما رأي الناس مصدرها الذي لا ينقطع خروجها منه وهو بيت

ابي الشهيد، هتفوا معا «الله اكبر.. الله اكبر» و الزهور راحت تبتعد تاركة في الفضاء والبيوت رائحتها. بعد قليل إنطلق مدفع الإفطار لكن كان الناس جميعا في حالة من الشبع، وأحسوا أنهم ارتووا بالماء الزلال، وجلسوا جميعا في بيوتهم صامتين ينظرون إلي بعضهم في دهشة،ودموع الكثيرين منهم تطل علي بعضها لا تصدق ما جري.

في بيت أبي مصطفي انقطع خروج الزهور من المظروف. وجلس الأب والأم والإبنة ينظرون إلي بعضهم في فرح عميق. انحني الاب علي المظروف يمسكه ويقبله، وأعطاه للأم التي قبلته بدورها وأعطته للإبنة رقية التي قبلته ودموعها تترقرق في عينيها. بعد قليل أشعل الناس تليفزيوناتهم فرأوها قد غيرت برامجها كلها ولا كلام لها إلا عن رائحة المسك العتيق التي ملأت كل البلاد. وفي الصباح كان حديث الصحف عن هذه الظاهرة الغريبة. عن الزهور التي خرجت من بيوت عديدة في كل وادي النيل والصحراء لتنشر رائحة المسك العتيق. صار معروفا أنها كلها خرجت من بيوت الشهداء، لكن كتبت إحدي الصحف أن رائحة الجنة رسالة إلي الأمة التي تقاعست في الثأر للشهداء ربما سوف تتبعها عاصفة من جحيم. في الحقيقة كان الناس يدركون ذلك. وراحوا يمشون في البلاد صامتين.

ياعالم الأسرار

يملك كشك سجاير علي ترعة المحمودية، في المنطقة الممتدة بين حي كرموز وحي راغب. كان أغلب سكانها زمان من بائعي الترمس. اليوم ظهرت فيها العمارات العالية واشتد فيها الزحام. حين كانت شبه خالية كان الجميع يعرفون برعي، لكن كل من عرفه مات أو رحل عن المنطقة. وبرعي لم يفكر أبدا أن ينتقل بالكشك إلي منطقة أخري. لا يزال لا يبيع فيه إلا السجائر والبسكويت. في البداية، في سبعينات القرن الماضي، كان يبيع فيه القصب. عيدانا أو قطعا للأولاد والكبار. لم يعد القصب في حلاوة قصب زمان. وتطور أولاد الأحياء الشعبية فلم يعودوا يمصون القصب في الطرقات ولا يلعبون به. برعي الآن في السبعين. صار له ولد وبنت وأحفاد أيضا، لكنه لا يستمع إلي مطلبهم أن يرتاح تاركا العمل. حين يأتي إبنه أو بنته لتقف معه لا يحتج، لكنه لا يوافقهما علي تنويع بضاعته. قال لهم بشكل واضح «زمان كنت أقف لأبيع وأكسب وأربيكما. الآن اقف لأنه لا يمكن أن أمضي مابقي من عمري جالسا في البيت. كما إنني انتظر إشارة من ربنا». استقر الولد والبنت علي أن أباهما فقد كثيرا من عقله، وليس أمامهما غير الانصياع له وتركه علي ما يريد.

لم يكن برعي يكذب. ذلك أنه يضع في الكشك «ريكوردر» يسمع منه كل عصر قصيدة رباعيات الخيام. يفعل ذلك منذ أربعين سنة. والناس القدامي علي قلتهم يعرفون غرام برعي برباعيا ت الخيام دون أغاني أم

كلثوم كلها.كانوا يتعجبون منه هوالذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة. يقولون في عجب من زمان برعي لا يسمع إلا رباعيات الخيام.وكان هو قد سمعها أول مرة حين اشتري الراديو. ارتاح لها رغم أنه لا يفهم منها إلا القليل. انتظرها في اليوم الثاني في الإذاعة فلم تأت. وهكذا لعدة أيام حتي عادت. تاه معها وسبح في الفضاء. ولما اختفت مرة أخري اقترح عليه عبد الحكيم الوافد الجديد إلي المنطقة، أن يشتري هذا الريكوردر، وشريط تسجيل فيه رباعيات الخيام، ويسمعها في أي وقت مادام يحبها كل هذا الحب. وهكذا لم تعد تفارقه حتي في رمضان، إذ ينساب القرآن الكريم قبل الإفطار من كل البيوت، لكنه وحده يسمع رباعيات الخيام. وعبد الحكيم أدمنها معه.

ذات مرة. قبل ان ينتهي رمضان بإسبوع قال لعبد الحكيم أن يساعده ويكتب له خطابا لأهله في الصعيد. كان المعروف عن عبد الحكيم إنه يعمل في شركة الغزل والنسيج بكرموز. ولم يكن أحد يعرف إنه ترك قريته حزينا لانقلاب المعدية وغرق زوجته التي لم يمض علي زواجهما شهر.

قال لعبد الحكيم:

- ايه رايك تفطر معايا. أنت وحيد وأنا وحيد. وتكتب لي الخطاب قبل الإفطار.

وافق عبد الحكيم فقال له:

- وياريت تفطر معايا كل يوم بعد كده.

جلس عبد الحكيم أمام الكشك. كان الجو شتاء. والناس دخلت بيوتها قبل الإفطار. ولا أولاد يلعبون في الشارع. وضع له برعي

طرابيزة صغيرة وفوقها المسجل الذي يعمل بالحجارة إذا ابتعد به برعي عن الكشك، ويصله بالكهرباء إذا كان داخله. ووضع شريط قصيدة رباعيات الخيام، ثم قدم أوراقا وقلما لعبد الحكيم، وجلس يملي عليه.

فكر برعي كيف يبدأ وكان عبد الحكيم يستمع للأغنية. أملاه برعي:

«والدي العزيز. والدتي الحبيبة. إخواتي الطيبين. زوجتي. ولكن عبد الحكيم الذي حملته القصيدة بعيدا، كتب سمعت صوتا هاتفا في السحر.. نادي من الغيب غفاة البشر. وقال برعي خلاص هانت قربت أحوّش الفلوس اللي ح أجر بيها الشقة واجيب مراتي معايا. وكتب عبد الحكيم: هبوا املأوا كأس المني قبل أن تملأ كف العمر يد القدر. يقول برعي كان نفسي أكون معاكم في الأيام المفترجة دي، لكن أنا باخاف علي القرش علشان افتح بيت في اسكندرية، وعبد الحكيم يكتب غد بظهر الغيب واليوم لي وكم يخيب الظن بالمقبل. انا دلوقت عندي كشك بأبيع فيه وبطلت شغل في الخرسانة، كتافي وجعتني يابوي وأنا مش حمل بهدلة.وعبد الحكيم يكتب لبست ثوب العيش لم استشر وحرت فيه بين شتي الفكر. انت عارف يابوي أنا من يومي صحتي علي قدي، علشان كده ربنا وقف لي ولاد الحلال ساعدوني آخد الكشك ده من المحافظة وعبدالحكيم يكتب فما أطال النوم عمرا ولا قصّر في الأعوام طول السهر. برعي يقول ساعدني موظف كبير في المحافظة طلب بس أديله كل شهر خمسة جنيه لمدة سنة. والحمد لله قادر أديله. وعبد الحكيم يكتب فكم توالي الليل بعد النهار. وطال بالأنجم هذا المدار، فامش الهوينا إن هذا الثري من أعين ساحرة الإحورار. صار عبد الحكيم

يسبح مع الأغنية وفي ملكوهما، فلم يعد يسمع ما يقوله برعي. صار يكتب الأغنية وبرعي يلاحظه وهو يكتب بسرعة حتي وهو متوقف عن الكلام ويقول في نفسه يمكن دي طريقته أنا أصلا ما اعرفش أكتب. لكن برعي وهويقول أن يسامحه أبوه لأنه لم يرسل لهم نقودا حتي الآن تساعد في شراء الدواء لأمه المريضة، انفتحت عيناه للدموع بينما كان عبد الحكيم يبكي وهو يكتب يامن يحار الفهم في قدرتك. وتطلب النفس حمي طاعتك. أسكرني الإثم ولكنني صحوت بالآمال في رحمتك. إن لم أكن اخلصت في طاعتك. فإنني أطمع في رحمتك. وإنما يشفع لي أنني قد عشت لا اشرك في وحدتك. حتي انتهت الأغنية وبرعي صامت ينظر لعبد الحكيم الذي يكتب ياعالم الاسرار علم اليقين. يا كاشف الدر عن البائسين. يا قابل الأعذار. عدنا الي ظللك فاقبل توبة التائبين.

انتهي عبد الحكيم فقال برعي:

- حقك عليا خليتك اتأثرت باللي بأقوله وبكيت.

مسح عبد الحكيم دموعه بمنديله القماش وقال:

- تزعل مني لو قلت لك انا ما كتبتش ولا كلمة من اللي انت قلته.

قال برعي حائرا:

- يعني ايه؟

- كتبت الأغنية. وعايز أبعتها لواحد كلنا بنحبه. عايزه يحبنا ويزيح عننا كل شر.

إرتبك برعي جدا فواصل عبد اا لحكيم:

- عايز أبعتها لربنا.

نظر إليه برعي مندهشا مأخوذا ثم قال:

- وتوصل؟

- إن شاء الله.

قال ذلك عبد الحكيم وكتب علي المظروف «الي الله في السماء» ودق مدفع الإفطارفراح برعي يضع علي االطرابيزة الصغيرة طبق الفول الذي اشتراه من قبل والبصل وعدة أرغفة وراحا يأكلان. قال عبد الحكيم:

- بكرة الصبح قبل ما تفتح الكشك تحط الجواب في البوسطة. وإن شاء الله حيجيلنا رد.

مائدة الرحمن

تعود مرسي أن يتناول إفطاره في موائد الرحمن. حين انتشرت هذه الظاهرة في سبعينات القرن الماضي كان صغيرا. كان أبوه يأخذه هو وأخيه وأمه الي مائدة بعيدة من بيتهم الكائن في دير الملاك. يختار الأب مائدة قريبة من قصر القبة حتي لا يراهم صدفة أحد من الجيران. كان مرسي يسمع أمه تقول لأبيه.

– ياخويا ليه مشحططنا كده بس ما كل جيرانا بيفطروا في الموائد زينا.

وكان أبوه يضحك ويقول:

– حقا. دامكن حرامي يدخل ساعة الفطار يقشقش البيوت كلها.

فترد الأم:

– وتفتكر يعني الحرامية مش عارفين. عارفين بس كمان عارفين إن البيوت فاضية مافيهاش حاجة تنسرق.

ويضحكون جميعا.

مرت السنون ومرسي يتمني أن لا يكون يوما من زبائن موائد الرحمن. تخرج من الجامعة وصار في شهر رمضان يرفض أن يذهب مع أبيه أو امه إلي أي مائدة. لكنه لم يجد عملا يجعله يساعد أسرته في الحياة ويغنيهم عن ذلك.وحين وجد عملا وجده في مدينة الاسكندرية. بالصدفة كان انتقاله للعمل إليها قبل رمضاب بأيام. وجد له مسكنا مع عدد من زملائه الأغراب في منطقة القباري حيث عمله في إحدي شركات النقل

هناك. كان قد تخرج من كلية التجارة. ولم يجد عملا في القاهرة في الحكومة أو القطاع العام. كان كل عمل يعرض عليه لا يزيد عن عامل في محطة بنزين ومرتبه من التيبس، البقشيش الذي يحصل عليه، أو جرسونا في مقهي وكذلك أيضا مرتبه. كان يعرف أن هناك من زملائه من وجد عملا في بنك أو وزارة أو مصنع، لكنه أيضا كان يعرف أن ذلك لن يتوفر له، فلا واسطة ولا محسوبية يمكن أن تفيده، ولا رشوة يمكن أن تدفعها عائلة تقضي رمضان علي موائد الرحمن.

حين وجد شركة تعطيه راتبا ثابتا وافق علي الفور رغم انها في الإسكندرية. شجعه أبوه قائلا:

– كويس خالص كمان أنت اسمك مرسي يعني اسكندراني. وإن شاء الله في الصيف نصيف عندك مرة قبل مانموت.

أما أمه فقد خافت عليه جدا من بنات اسكندرية، وباللذات بنات بحري. قالت له يابني انت شفتهم في الأفلام شكلهم إيه استغفر الله العظيم. دا أسهل حاجة عندهم المايوه. وكان يضحك ويقول لها يا أمي دا كان زمان. الدنيا اتغيرت وخلاص ما فيش فرق بين بنات بحري وقبلي. كلهم الحمد لله يا بالحجاب يا بالنقاب. وفي نفسه كان يتمني أن يأتي الصيف ليري شواطئ هذه المدينة التي لم يزرها أبدا، ويري النساء علي الشواطئ بالمايوهات كما تقول أمه، وإن كان يعرف أن ذلك لن يحدث، لكنه ظل علي أمل حتي إنه سأل زميلا له عن ذلك فانطلق يضحك ساخرا واعتبره أهبل أو مسكين. لكن زميله قال له أيضا:

– دا موجود لكن في الساحل الشمالي والشواطئ الخاصة في العجمي مثلا.

سأله بدوره:

- يعني إيه خاصة؟

قال له:

- يعني تدفع مرتبك علشان تدخل وتقضي طول الشهر جعان - ثم سكت لحظة وقال - خلينا في المهم أنت حتعمل إيه في رمضان؟

ارتبك وقال:

- يعني ايه؟

قال زميله:

-يعني حتفطر فين؟ ليك قرايب هنا تفطر معاهم مثلا؟ إنت عارف رمضان يحب اللمة.

- لا ماعرفش حد. نفطر مع بعض.

ضحك زميله وقال:

-يبقي انت زميل بجد. حتيجي معايا موائد الرحمن.

أبدي له امتعاضه فقال زميله:

- إسكندرية غير القاهرة. هنا كل حاجة نضيفة. وبعدين قرفان ليه كده؟

لم يشأ أن يقول له أنه من غيرالمعقول أن يمضي عمره في موائد الرحمن. سكت وترك نفسه لزميله يأخذه إلي الموائد.في أول مائدة وكانت في بحري قريبة من جامع سيدي المرسي أبو العباس كانت بالفعل نظيفة. الطرابيزات طويلة فوقها مفارش بيضاء نظيفة، والأطباق ليست صفيح بل زجاج لامع نظيف، ودوارق الماء زجاج أيضا والأكواب لامعة والملاعق مصقولة. لا شيئ قديم أو قذر هنا. والطعام يطهي بعيدا عنهم

داخل المحل الذي يقيم المائدة، والذي ينقل الطعام فتيات صغيرات جميلات ونظيفات، وهواء البحر يطل عليهم، وصوت الموج يهدهد أعصابهم، ولا ضجيج في الشارع مثل القاهرة. وكلما اقترب انطلاق مدفع الافطار زاد الهدوء وصوت الشيخ القادم من جامع أبو العباس المرسي جميل يبعث علي الطمأنينة. ما أجمل الاسكندرية. لن يعود إلي القاهرة أبدا.

إنطلق مدفع الإفطار وارتفع صوت المؤذن من جامع سيدي المرسي، فترك المائدة التي صارت عامرة بالأكل والشرب، ووقف يصلي علي سجادة طويلة فرشها صاحب المائدة إلي جوارها علي الأرض. حين رأي هذه السجادة لم يسأل أحدا عن معني وجودها، وقال في نفسه أكيد هي للصلاة. والحقيقة أن صاحب المائدة وضعها لتكون مثل الحدود حول الجالسين، فإذا مرت سيارة لا تقترب منهم، كما أنها تعطي المكان جمالا إضافيا. لم يكن من الصعب أن يولي وجهه ناحية القبلة. فجامع المرسي أمامه وهذا بابه، كما أن البحر في الشمال خلفه. ولّي وجهه الي الجنوب مائلا إلي الشرق قليلا، ونظرحوله فلم يجد أحدا يقف يصلي معه. رأي زميله يبتسم وهو يشرب العرقسوس. قال لابد أن أحدا سيقف يصلي معه لكن لم يقف أحد. لم يكن ممكنا أن يتراجع. الله اكبر الله اكبر وبدأ الصلاة ولا أحد يتقدم ليصلي معه. لم يكن أمامه إلا الاستمرار في الصلاة. في لحظة فكر أن ينهي صلاته بسرعة، لكنه استغفر الله وراح يصلي علي مهل كما ينبغي. ما إن انتهي حتي رأي الجالسين علي المائدة ينصرفون. لم يكن قد بقي فوقها إلا بقايا طعام متفرقة.نظرإليه زميله وضحك قائلا:

- بعد كده ابقي صلي بعد الفطار. إنت عمرك مافطرت في مائدة رحمن؟

سكت. كان الجوع يقرصه في بطنه بشكل كبير، فمد يده الي دورق به عنّاب وشرب منه ثم قال:

- الحمد لله. والله عمري ما شبعت زي النهاردة.

لكنه في نفسه قرر أن لا ينسي هذا الدرس في الأيام القادمة.

مائدة من هواء

أمسكت بورقة من شجرة كافور ودعكتها في يدها. شمتها وانتعشت. هل كان ما تراه الآن موجودا حين جاءت من هذا الطريق منذ ساعتين. إذا كان ذلك فكيف لم تره. هل يكون وقت طويل قد مضي بما يكفي للأرض أن تنفجر منها ترعة كهذه تنمو علي جانبيها الحشائش والأشجار؟

لابد أن تسرع بالعودة قبل أن ينطلق مدفع الافطار. هكذا قال لها أبوها. لا تستطيع أختها الصغيرة التي لم تبلغ السابعة بعد أن تحميها في هذا الفراغ. ولا تستطيع هي التي في الثانية عشر أن تحمي أختها. ربما لهذا يبدو أبوها حزينا لانه لم ينجب الولد بعد.لكن أختها الصغري توقفت وقالت:

- تعبت

جلستا تحت شجرة كثيفة الأوراق.ورأت الكبري الشمس تبتعد عن الدنيا وطرف السماء البعيد يلتهب عند الأفق، وقالت الصغري:

- حنرجع نقول إيه لبابا وماما!؟

لم ترد الكبري التي كانت تري علي الضفة الأخري من الترعة بيوتا تنتصب فجاة أمامها، لكنها كلها موصدة الأبواب ولا صوت يصدر عنها. قالت لأختها الصغري:

- شايفة اللي انا شايفاه؟

- أنا مش شايفة حاجة غير الترعة والشجر.

- فيه بيوت قدامك أهه بس مقفولة.
- انتي جعانة زيي وبتحلمي. مافيش حاجة.
- كمان الترعة فيها بط ووز.
- انتي ليه جبتينا من السكة دي؟
- ماعرفش غيرها. بابا بياخدني معاه لما يزور عمي. بيقول أقرب.
- أنا سمعت مرات عمي بتكلم عمي في الأوضة اللي جوة.
- أنا كمان سمعتها. ليه قالت مش موجود؟ يعني علشان بابا بعتنا نستلف منه فلوس!. دي حتي ما قالتلناش اقعدوا افطروا معانا.
- قالت لنا مع السلامة علشان تفطروا مع بابا وماما وما يقلقوش عليكم.

قالت الصغيرة ذلك وهي تضحك ثم اردفت في ضيق:

- يعني ماتعرفش إن مافيش أكل في البيت، وإن احنا جينا نستلف الفلوس علشان نشتري فطار!!

تركتها الكبري واتجهت إلي الترعة، وراحت تتفرج علي البط السابح في الماء. ولما رأت بطة تغطّس منقارها في الماء وترفعه وقد علقت به سمكة صغيرة ضحكت وهتفت:

- تعالي شوفي البط بيطلع سمك من المية وياكله.

لكن الصغري لم تتحرك. عادت اليها الكبري وجلست جوارها علي الأرض. فقالت لها الصغري:

- الدنيا بتضلم وانتي بتشوفي حاجات غريبة. المدفع زمانه ضرب ولا فطرناش.

فكرت الكبري لحظة وقالت:

- جعانة؟
- حاموت من الجوع.

ضحكت الكبري وقالت:

- حاكلك أكل عمرك ما أكلتيه.

وراحت باصابعها تصنع دائرة كبيرة على الأرض الترابية وقالت:

- دي طبلية. نفسك تاكلي إيه؟

لم ترد الصغري التي ضحكت. والكبري بإصبعها أيضا رسمت دائرة صغيرة داخل الدائرة الكبيرة وقالت:

- دا طبق ملوخية.

انطلقت الصغري ضاحكة، فاستمرت الكبري ورسمت أكثر من دائرة صغيرة وقالت:

- وده عيش. شوفي كتير قد إيه.

ضحكت الصغري وقالت:

- الملوخية عايزة رز.

رسمت الكبري دائرة وقالت:

- ودا ياستي طبق رز. عايزة لحمة؟

قالت الصغري بشغف عميق:

- فرخة.

رسمت الكبري ما يشبه الدجاجة وقالت:

- آدي الفرخة قطعي منها زي ما انتي عايزة.

ضحكت الصغري ضحكة صافية وقالت:

- دا ما فيش معلقة.

قالت الكبري.

- كلي بايدك النهاردة. معلش.

وراحتا تأكلان من الدوائر المرسومة على التراب وتستمتعان وتضحكان حتي استلقت الكبري علي ظهرها وقالت:

- شبعت أوي. إنتي لسة جعانة؟

تمددت الصغري جوارها وقالت:

- شبعت خالص. أشيل الطبلية والصحون؟

قالت الكبري:

- خليها شوية يمكن حد يعدي جعان يلاقي حاجة ياكلها. ياللا بينا نروح لحسن زمان بابا وماما قاعدين قلقانين علينا.

نهضتا ضاحكتين وأسرعتا في المشي، ثم توقفت الكبري وأمسكت بزراع الصغري وقالت.

- صعبان عليا أوي بابا وماما. مش حيعرفوا يعملوا زينا وياكلوا.

واندفعا معا في بكاء أليم مالبث أن تحول إلي ضحك بهيج.

شغشق وأبريق

جلسا معا علي المقهي صامتين. «شفشق» و«أبريق». هكذا يعرفان وسط اللصوص.هما من أبناء منطقتين عشوائيتين قريبتين. يحبان الجلوس هنا حيث المنطقة الأرقي. نشاطهما كله خارج منطقتيهما. لا يظهران فيهما إلا في الصباح وهما يغادرانهما، وفي وسط الليل حين يعودان. أطلق عليهما زملاؤهما هذين الاسمين من حرصهما علي نظافة ثيابهما ونظافتهما الشخصية، والعطر اللذي يحرصان علي وضعه علي ملا بسهما. قال شفشق:

– فيه راجل اشتري تليفزيون عندنا في الزقاق.عايزين نسرقه.

اندهش أبريق جدا وقال:

– يعني إيه. ما كل الناس عندها تليفزيونات؟

– دا بالذات ما كانش لازم يشتري.

– أنت غريب أوي.ليه؟

– علشان مراته بتيجي كل ليلة تسهر مع أمي واخواتي تتفرج علي التليفزيون عندنا، وبصراحةالمرة حلوة وصغيرة.

– يخرب بيتك إحنا في رمضان

.– ماهودا اللي معذبني. ليلة أول رمضان بس اتجاوبت معايا. بصت لي بصة ياجدع سيبت مفاصلي.

– إوعي تكون عملت حاجة.

– بصت لي وقالت لامي أنا عايزة اشرب شاي بالنعناع، ونفسي

اعمله بنفسي وتشربي من إيدي علشان أنا باعمله حلو أوي. وقبل أمي ما تنطق قامت للمطبخ وبصت لي تاني. قمت دخلت وراها. لاقيت نفسي هاجم عليها، صدتني بإيديها وقالت لا. بكرة رمضان حرام. بعد رمضان مش حاحرمك من حاجة.

إندهش أبريق وأخرج مطواة من جيبه الخلفي وقال ضاحكا:

– علي النعمة دي ست عايزة الدبح. طيب وانت عايز تسرق التليفزيون ليه؟

– علشان ترجع تسهر مع امي.أمي دلوقتي اللي بتسهر معاها...مش عارف جوزها جاب فلوسه منين. تليفزيون اتناشر بوصة.

– هوبيشتغل إيه؟

– مكوجي رجل.

– ومستكتر عليه اتناشر بوصة.انت مفتري ياجدع.

وانطلقا يضحكان. ثم قال شفشق:

– بص أنا عملت الخطة كلها. إنت ماحدش يعرفك في حتتنا. انا حاجيب لك المفتاح بتاعهم.

– إزاي يعني؟

– هي حتديهولي.

– يعني هي موافقة؟

– طبعا. هي كمان عايزة تسهر مع أمي. قالت لي علي الأقل أشوفك لحد ما يخلص رمضان.

إندهش أبريق جدا وقال:

– طيب بالزمة اللي زي دي مستنية رمضان يخلص ليه. ماهي رايحة

جهنم رايحة جهنم؟

سكت شفشق لحظة وقال:

– برضه الأمل حلو.

– طيب يانبيه حاروح لوحدي؟

– انت عارف بيتي. البيت التلات أدوار اللي جنبنا.الشقة يمين السلم الدور التالت.هي مش شقة طبعا. اوضة وصالة.زي بتاعتنا. التليفزيون في الصالة علي طول. وبكرة ساعة الفطار أحسن وقت. الناس كلها مخزّنة في البيوت. وهي وجوزها معزومين عند حماها. خلاص؟

– خلاص. حتجيب لي المفتاح إمتي؟

– أهو المفتاح.

أخرجه من جيبه فضحك أبريق وقال:

– يابن الإيه؟ دا انت محضر كل حاجة. وتقول لي حاجيب لك المفتاح.

– التليفزيون دا تمنه ييجي خمسميت جنيه. أنا مية وانت مية وهي الباقي. حنبيعه في أبعد حتة في مصر.

في اليوم التالي ساعة الإفطار كان إبريق يصعد السلم علي حذر. فتح باب الشقة وانتهي بسرعة من حمل التليفزيون، والنزول به محمولا أمامه علي صدره، وراح ينزل السلم في هدوء. عند باب العمارة وجد أمامه رجلا يدخل مسرعا. وقف أمامه متخشبا والرجل ينظر إليه في دهشة فقال:

– شفت حضرتك قلة الأصل بتاعة لناس. تليفزيون زي ده أجيبه لحد هنا يقول لي ميت جنيه. علشان عارف إني محتاج يعني؟!

- مين ده؟

- الأخ المكوجي اللي ساكن فوق.

نظر الرجل إلي التليفزيون متوجسا قليلا، وراح يتامل «أبريق» الذي بدا له أنيقا تفوح منه رائحة طيبة وقال:

- طيب وانت عايز كام؟

- متين مثلا.

تردد الرجل قليلا ثم قال:

- مية وخمسين. إيه رأيك؟بس أجربه.

اصطنع ابريق التردد ثم قال:

- الأمر لله بدل ما ارجع بيه تاني البيت.

ودخل مع الرجل الي شقته فأشار إليه ان يضعه قريبا من التليفزيون القديم الذي يملكه. كان قد أشار لزوجته أن تدخل غرفة أخري.أوصل التليفزيون الجديد بايريال التليفزيون القديم والكهرباء و«أبريق» يقف قلقا يحاول أن يخفي رعبه.

- الله ده جديد وصورته حلوة أوي.

وترك الصالة الصغيرة إلي الغرفة ثم عاد معه مائة وخمس وعشرين جنيها. أخذها أبريق قائلا:

- زي بعضه.

وقبّلها ثم صافح الرجل وخرج. ما إن وجد نفسه علي السلم حتي أطلق ساقيه مغادرا المنطقة كلها.

علي المقهي البعيد قابل شفشق الذي حين عرف ما جري هتف:

- يا ليلة سودا. دا حتصل مصيبة. أكيد مرات القهوجي حتحكي

الحكاية والمكوجي حيعرف.

– هو اللي اشتري التليفزيون قهوجي؟

– أيوة. ماهو ساكن في الشقة اللي جنب السلم في الدور التاني الل يبتقول إنك دخلتها معاه.

– باقول لك ايه. احنا مالناش دعوة. المهم خلاص مافيش تليفزيون وهيص انت بأه.

– أهيص. ربنا يستر والراجل ما يشكش إن مراته علي علاقة بالقهوجي، خصوصا انك دخلت بالمفتاح، يعني مش حيلاقي أي أثر لغريب. ممكن يفكر إنها اللي اديته المفتاح. وممكن من الضرب تعترف.

رجل أمن الدولة الغلبان

قابلته يجلس وحيدا في ركن من بوفيه محطة مصر. لم أعرفه ولم أتعرف عليه. جلست بعيدا في ركن آخر منتظرا موعد قيام قطار السابعة مساء. كانت الساعة حوالي السادسة. وكما أفعل في كل مرة أسافر فيها اشتري عددا من الصحف، وأجلس أقرأ فيها، وأشرب القهوة حتى يأتي موعد القطار، فأنصرف لأكمل القراءة في القطار نفسه. كالعادة كان هناك ضجيج بالمقهى بسبب التليفزيون ذي الشاشة الكبيرة، وعادة مشرفي المقهي الغريبة التي تجعلهم يتركون صوت التليفزيون عاليا. هي عادة مصرية بغيضة في كل المقاهي منذ أكثر من ربع قرن. ولا أعرف كيف يستطيع رواد المقاهي التغاضي عنها، والدخول مع بعضهم في أحاديثهم الخاصة. لاحظت أنه يمعن النظر إلي. أكثر من مرة ألاحظ ذلك. ثم صار لا ينحرف بنظره عني. كان في حوالي الستين من العمر. يرتدي بدلة رغم الصيف لكن بلا كرافتة. قاومت أن لا أنظر إليه لكني لم أستطع. نظرت إليه مرتين وفي الثالثة ابتسم وحياني بيده. بل قام واتجه نحوي ووقف يمد يده يصافحني.

- ازي حضرتك يا استاذ حسين؟

قلت مرتبكا:

- أهلا وسهلا. حضرتك تعرفني؟

- تسمح لي أقعد؟

- اتفضل.

قلت ذلك بارتباك أكثر.

– طبعا حضرتك نسيتني. معاك حق. بس أنا ما نسيتكش. حضرتك بقيت كاتب مشهور وصورك في كل الجرايد. أنا زكريا أحمد.

انتبهت علي الفور. ضحكت. قلت:

– أنا مافيش في حياتي غير اتنين زكريا أحمد. الموسيقار العظيم وضابط أمن الدولة اللي قبض عليا سنة ٨٥ ١٩. معقول. إزيك يا سيادة الرائد. تلاقيك لواء دلوقت.

– خلاص يا حسين بيه. أنا سبت البوليس من زمان.

– معاش يعني؟

– لا والله. حكاية كده. اسمح لي أعزمك علي قهوة.

– أنا باشرب القهوة.

– خلاص يبقي الحساب عندي. اعتذار يعني.

ضحكنا وقال:

– بس غريبة إنك ما تعرفتش عليّا بسرعة.

– مش غريبة ولا حاجة. إحنا قربنا علي اربعين سنة ياراجل من يوم ما شفتك.

– صحيح.

قال ذلك وراح ينظر في المنضدة شاردا. ثم قال:

– بس أنا مش زعلان.

– إني ماتعرفتش عليك يعني؟

– لا.. إني سبت البوليس. ومن زمان.

– الله دي حكاية بأه يازكريا بيه.

- فعلا حكاية. حأقولها لك يمكن تكتبها. شوف ياسيدي. في رمضان سنة ٨٦. يعني بعد ما قبضت عليك بسنة. جاتنا أخبار عن شوية شبان إسلاميين ناويين يعملوا عمليات تفجيرية في القاهرة. كانت كل التحريات اللي عندنا بتأكد المسألة. وكنا في رمضان.إنت عارف طبعا إن العادة بتاعتنا يتم القبض علي الناس في الفجر. علشان بتبقي الناس نايمة وما بنحبش نقلق الجيران - ابتسمت وواصل الحديث- ماكانش ممكن ننتظر لبعد رمضان، وطبعا في رمضان ماحدش بينام. اقترحت علي رئيسي العميد مراد جاب الله. طبعا شخصية كانت معروفة - ابتسمت من جديد - اقترحت عليه نقبض علي الشبان دول ساعة الفطار. كان عندنا إخبارية إنهم بيفطروا مع بعض في شقة واحد منهم في بولاق الدكرور. يبقي كده كمان حنلمهم مع بعض.

- ساعة الفطار يازكريا بيه. ياه.

- أرجوك استني. كل اللي حتقوله معاك حق فيه. فعلا اقتراح غير إنساني لكن كمان شؤم.

وابتسم وهو يهز رأسه:

- والله ما مصدق اللي حصل.

- كمّل حضرتك. أنا حاسمع.

- أيوة حاكمل. بس ما تكتبش الحكاية دي إلا بعد ما أموت. والا أقول لك. اكتبها بس ما تجيبش سيرتي. أنا صحيح سبت الخدمة بس ما تضمنش إيه ممكن يحصل لي.

- إحكي يازكريا بيه اتفضل.

أخذ نفسا طويلا وبدأ يحكي من جديد:

- قبل الفطار بدقيقة كنا تقريبا محاصرين البيت من بعيد. في الوقت ده كانت بولاق لسه مش زحمة زي دلوقت. وكان فيه حتي غيطان حوالين البيوت. المدفع ضرب طلعنا علي الشقة. خبطنا وطلع لنا واحد بدقن. أول ما شافنا عرفنا.لكن الغريب إنه رحّب بينا. زي انت ماعملت معانا كده يوم ما جينا نقبض عليك في الفجر. ياريتنا رحنا في الفجر! المهم دخلت ومعايا المخبرين واتنين ظباط شبان انتشروا في الشقة. أنت عارف طبعا. الولاد كانوا بيصلوا المغرب. سبتهم يصلوا. اللي فتح لنا قال لو ممكن بس يشربوا أي عصير قبل ما نتزل بيهم. بصراحة وافقت. دخل المطبخ هو وواحد زميله والمخبرين وراهم،وجابوا لنا صينيتين عليهم كوبايات قمر الدين. سبتهم يشربوا والمخبرين كمان شربوا، وواحد من الاتنين الظباط الشبان شرب ونزلنا في دقايق. حطيناهم في تلات عربيات ملاكي ورحنا علي الدقي. شارع جابر ابن حيان. عارفه طبعا.

قلت ضاحكا:

- مين ما يعرفوش. أمن الدولة يامحترم.

- المهم نزلت من عربيتي ونزل السواقين وماحدش نزل تاني غير الظابط اللي ما شربش قمر الدين والشبان المقبوض عليهم. يعني المخبرين والظابط اللي شرب قمر الدين ماتوا في مكانهم.

-بتقول إيه؟

- زي ما بقول لك كده.

- يعني إيه؟

شرّحنا الجثث ما لقيناش أي أثر لسم مثلا. العيال اتعذبوا كتير علشان

يقولوا إيه سبب موت المخبرين والضابط ومافيش سبب. ما يعرفوش. مات منهم اتنين في التعذيب.

احسست بضيق شديد لكني تماسكت وقلت:

– غريبة. بس ما دام مافيش سم، حضرتك ليه ما موتش لامؤاخذة يعني، ولا الظابط التاني.

– الظابط التاني بعد سنة كان بينصف طبنجته طلعت منها طلقة في وشه مات. وأنا يمكن حكمة ربنا علشان أعيش متعذب.

– ياه. حكاية غريبة.علشان كده سبت الخدمة؟

– بصراحة اترفدت.

– علشان أنت صاحب الإقتراح.القبض علي الناس ساعة الفطار يعني؟

– لا. دول ما بيهموهمش، لكن اتشائموا مني. حجيت عشر مرات ومش قادر أنسي. دلوقتي أنا فاتح محل ملابس حريمي بس مش مرتاح. مستني الموت في أي لحظة. عايش مرعوب باخد بالي من كل حاجة. مين عارف يمكن دلوقتي ارتاح بعد ما حكيت لك.

رائحة الحشيش

إشتري «نصف قرش» حشيش من سيدي كرير. قال له رحومة البدوي وهو يضحك:

– يا استاذ انت بقالك بينا عشر سنين عمرك ما شربت الحشيش ولا اشتريته.

– أصل سهران النهاردة مع جماعة اصحابي. وبصراحة فيهم واحدة صاحبتي. أكتر من مرة تيجي سيرة الحشيش تقول بيجيبوه منين. وبيعمل إيه. زي ما تكون عايزة تجربه.

ضحك رحومة وقال:

– وحضرتك بأه قلت تجيبه لها علشان تقرب منك. براوة يا استاذ.

ضحك وقال لرحومة:

– خلاص بأه بس ما تجيبش سيرة قدام الولاد لما نيجوا في الصيف.

– طيب حيث كده خد بالك. اليومين دول البوليس متنبه خالص. قبضواعلي ناس كتير مننا. كمان عند الكيلو واحد وعشرين الدورية بتفتش العربيات كويس أوي.

– يعني ايه؟

– يعني حضرتك بتشتري في أيام صعبة، ولولا فيللتك في أرضنا ما كنت بعت لك. إيه رأيك تعزم أصحابك عندك هنا في الفيللا أحسن وأنا أجيب لكم كل حاجة؟

– للدرجة دي السكة خطر؟

– يعني يكون أحسن.

– بس الفيللا عايزة تتنضف، وانا جاي اسكندرية يومين، ونازل فيهم عند واحد صاحبي، وحنتجمع عنده.

– طيب. علي بركة الله. إذا الشرطة وقفتك طلع الرخص علي طول، وخلي المسجل شغال بالأغاني وركز فيها، وبعدين انت يعني صعب يشكوا فيك. وأحسن حاجة تنتظر شوية لغاية قبل الفطار بنص ساعة. حيكونوا ملخومين بتوضيب الفطار. يعني تتحرك من عندي كمان ساعة.

– وهو كذلك.

جلس عنده حتي بقي نصف ساعة علي مدفع الإفطار، وأخذ سيارته وانطلق إلي طريق الساحل. كان قد وضع لفافة السيلوفان داخل طفاية العربة أمامه. فكر أن ينظر إليها. في الحقيقة انقطعت صلته بتدخين الحشيش منذ عشر سنوات. هذه المرأة الجميلة هي السبب. أخرج لفافة السيلوفان ينظر فيها فإذا بها تنتفش بين أصابعه. لم يحكم رحومة إغلاقها. توقف بالسيارة وفكها ليغلقها جيدا. رأي شرائح الحشيش أمامه. لا يعرف ما الذي جعل أصابعه ترتعش فتناثرت بعض الشرائح علي أرضية العربة. تضايق وراح يجمعها ويلفها في الورقة من جديد. لماذا اختار رحومة له الشرائح ولم يعطه ما يريد قطعة واحدة؟. أعاد الورقة إلي مكانها ولكن رائحة الحشيش ملأت العربة. يا إلهي. هذا نوع جيد يذكره بحشيش زمان. كثيرا ما سمع أصحابه من هواة الحشيش يقولون في استياء أن كل الحشيش مضروب. لكن ماذا سيفعل الآن والرائحة تملا العربة. ترك الطريق الساحلي وأخذ طريق برج العرب. من هناك

يدور إلي الطريق الصحراوي، ويصل إلي الإسكندرية من محرم بك. طريق أطول لكنه خالي من الشرطة. آخر نقطة شرطة قبل العامرية، وهولن يصل إلي هناك. أخذ الطريق الجديد وأسرع. دق الموبايل فوجد صديقه يسأله عن مكانه. أخبره بكل شيئ. وضحك وقال:

– تصدق أنا خايف جدا. إيه اللي خلاني اعمل كده؟

قال صديقه:

– ما تخافش البلد كلها بتعمل كده. المهم خد بالك من الطريق. كلنا مستنيينك الليلة.

كان قد انتهي من طريق برج العرب، وانحرف عند مفارق الطرق إلي الطريق الصحراوي ووصل ايضا اليه، ويأخذه الطريق الآن إلي الإسكندرية. علي يقين هو أنه لا توجد هنا كمائن شرطة؟ كانت السيارات تسرع حوله تسبقه، وهو يقود السيارة علي مهل حتي إذا ظهرت أي قوة شرطة لا يكون لديها سبب لإيقافه. وبالذات السرعة مثلا. صار تقريبا وحده الآن في الطريق الذي يتوسط بحيرة مريوط التي قامت علي جانبيها المصانع الكيماوية والبترولية والمباني الخالية والمحلات، وحين تظهر بقاياها يشم رائحة العطن الذي يسببه الصرف الصحي للأسكندرية فيها. الآن هو يقترب من نهاية الطريق فيظهر أمامه فجأة مجند أمن مركزي شاب يقطع عليه تقريبا الطريق. هل يمكن؟ هل هذا كمين؟ هل الجندي يشكل كمينا وحده الآن؟ توقف بالسيارة واقترب منه الجندي الشاب يقول:

– ربنا يخليك خدني معاك لغاية محرم بيه الحق الفطار. ما تزعلش مني حضرتك إذا كنت قطعت الطريق. جعان وعايز أسافر.

تردد قليلا ثم قال:

- اتفضل.

فتح العسكري باب السيارة وجلس جواره وتحرك هو بالعربة وهو يقول:

- انت إيه اللي موقفك هنا في حتة مقطوعة زي دي؟

- الظابط بتاعي نزلني من عربيته هنا. إفتكر إنه ناسي حاجة في المعسكر. قال لي اتصرف في نفسك ورجع.

- طيب وكان واخدك معاه ليه؟

- كان نازل اسكندرية عند أهله. بيتزل كل يوم. وأنا واخد اجازة. قال لي تعالي أوصلك سيدي جابر وتركب القطر وتسافر بلدكم. هو بيحبني. أصل أنا عسكري المراسلة بتاعه.

- الخدمة يعني.

- ايوة. وكتير ياخدني البيت أخدم أهله.تصدق وقفت ساعة ما حدش وقف لي إلا حضرتك.

حط عليهما الصمت للحظات، فجاة قال الجندي:

- فيه ريحة غريبة في العربية دي. زي ما يكون حشيش.

- لا ياراجل. وبعدين انت تعرف ريحة الحشيش؟

- ايوة. ماهو الظابط بتاعي بيشربه. دا أنا اللي باعمل له الجوزة وأعمر له الحجارة. حضرتك مش مصدقني؟

- مصدقك طبعا بس ما فيش ريحة حشيش في العربية. دا سبراي أنا بارشه فيها دايما.

قال الجندي:

- والا حشيش يابيه. المهم حضرتك خدتني معاك. ولو تكمل معروفك تديني جنيه أشتري بيه ساندوتش فول أفطر علي المحطة. أنا يادوبك معايا تمن القطر.

معه دائما...

حين يأتي رمضان من كل عام يعرف أنه سيمضي الساعتين السابقتين علي مدفع الإفطار مع زوجته في المطبخ. ساعتان لمدة شهر يمضيهما معها سعيدا. يراها وهي متحمسة في الطهو وتطلب منه أن لا يسألها عن شيئ ولا يتدخل في أي شيئ. فقط يتفرج فوجوده يجعلها سعيدة. حدث هذا منذ أول رمضان يمر عليهما بعد الزواج. لم يكن يعرف شيئا عن الطهو. قالت له أن عليه فقط إعداد السلاطة فأمرها سهل. عاما بعد عام بدأ يساهم بمجهود بسيط. أن يقوم بتقشير البطاطس مثلا او تتبيل اللحوم قبل شيها، أوسلق الدجاجة والتخلص من الريم الذي يطفو علي سطح الماء. أو يقف قليلا أمام السمك يقليه أو يغسل الأرز، أو يعد عصير قمر الدين أو الخروب او غيرها من العصائر، وفيما بعد تقشير البصل ليضحكا معا علي حالته. كان يفعل دائما شيئا واحدا بينما هي تفعل شيئا آخر.وكانت تعجبه مهاراتها في انجاز كل شيئ في وقت قياسي.ولما سألها عن سر المهارة قالت له ضاحكة «نظام بينما» فسألها يعني إيه، فقالت يعني بينما يتم سلق الفرخة يتم غسل الأرز، وبينما يتم شي اللحمة يتم غسل الادوات التي استخدمت. يعني ماتعملش الحاجة ورا بعض، لكن مع بعض. ثم قالت له أن أجمل ساعات رمضان هي التي تقضيها الزوجة في إعداد الإفطار. الوقت يمر بسرعة، ويمر بسرعة أكثر حين يكون هو معها، فهي تطهو الطعام وتتحدث معه ويضحكان كثيرا. أحيانا كانت تطلب منه أن يخرج من المطبخ فيقول باسما:

- ملوخية النهاردة؟

- آه.

- نفسي تعمليها قدامي.

تضحك.

- لا تبوظ.

- طيب إنتي بتعملي إيه بالظبط؟

- بعدين أقول لك.

- أنا عارف. بتشهقي؟

- الله بأه إسمع الكلام. والا عايز الملوخية تبقي زي المية.

يضحك ويخرج. يبتعد قليلا عن المطبخ ثم يعود بسرعة فتكون هي في انتظاره باسمة تهز رأسها.

- عارفة إنك حترجع. مش حاعمل حاجة الا ما تبعد خالص في الصالة عند التليفزيون.

يبتسم ويبتعد إلي التليفزيون. ويجد نفسه بعد لحظات ينادي:

- خلاص؟

يأتيه صوتها حلوا:

- خلاص تعالي.

يدخل يواصل العمل معها.

كبر الأولاد ومرت السنون وماتت. السرطان اللعين الذي أفصح عن نفسه بعد أن تفشي في الجسد، فخرجت من العمليات إلي الرعاية المركزة الي الله. كان ذلك بين العيدين. وكان ولداه قد كبرا. الأول في العشرين من العمر والثاني في الثامنة عشر. الأول أمامه عامان في

الجامعة والثاني في الثانوية العامة. كان عليه أن يتماسك أمامهما بأكبر قدر ممكن. هذه سن خطرة ومن كانت تنتبه الي حياة الولدين ودّعت الدنيا. كانت لا تسمح لهما بالبقاء كثيرا في الشارع. تتابع تحركاقمما ودراستهما أكثر منه هو المشغول في أعمال كثيرة. صار عليه الآن أن يقوم بكل شيئ. كانت تقول دائما أن الشارع والمدرسة والجامعة صارت مناطق الخطر. ومهما بذل الأهل من جهود في التربية فهذه الأماكن صارت تفسد كل شيئ مالم ينتبه الأهل.وتربية الصبيان أصعب من البنات لأن اعتدادهم بنفسهم أكبر وطاعتهم لأهلهم أقل. صار عينا لا تغفل عن ولديه. صار أبا وأما. قلل من أعماله الخاصة. وصار هو الذي يطبخ، وعلّمهما استخدام الغسالة، وعلّمهما أن يقفا معه أحيانا وهو يطهو الطعام ليتعلما ما تعلمه من أمهما. بالليل يناما ويظل هو وقتا طويلا يتألم في صمت يتذكر أيامهما الجميلة. لا يريد أبدا أن يبدو أمام الولدين حزينا حتي لا يفتح جرحهما.

عاد شهر رمضان كما يعود دائما. الأيام لا تقف من أجل أحد. قال لنفسه ذلك في حسرة. استعد له كما يستعد كل عام. إشتري ما كانت تشتريه زوجته من أطعمة وياميش وبلح. قرر أن يجعل رمضان مبهجا مثل كل عام، وأن لا يشعر الولدان بفقد أمهما. دعاهما إلي المطبخ معه قبل الموعد بساعتين. صاروا يتحدثون في كل شيئ. هو يفتعل الحديث عن أي شيئ لينسي إنه كان يقف هنا معها، وهما بدوريهما أحسا بذلك فكانا يفتحان معه أحاديث عن كل شيئ في المدرسة أو الجامعة أو أصحابهما. ودائما كانا يحكيان أشياء تثير ضحكه وبهجته.أنجزا ما كان يطلبه منهما من إعداد للسلاطة أو غسل الأرز اوإعداد العصير وغيره

من الأشياء البسيطة. بعد أن انتهوا من كل شيئ كانت دقائق قد بقيت علي مدفع الإفطار، فراح يعطيهم صواني الطعام والأرز وزجاجات العصير والأكواب وسلطانيات الشربة الطعام والأطباق الفارغة التي سيفرغ فيها كل منهم مايشاء من الطعام، وهما يحملان ذلك إلي السفرة في الخارج. توضأ الولدان استعدادا للصلاة حين ينطلق المدفع. راح هو ينظم الأشياء علي السفرة ثم توضأ بعدهم. وحين انطلق مدفع الافطار وأذن المؤذن للصلاة قاموا وصلوا في الصالة خلفه كما تعودوا كل عام، ثم عادوا إلي السفرة وجلسوا. إنتبه الإبن الأصغر إلي الأطباق الفارغة التي أمامهم فضحك وقال:

– بابا حضرتك حطيت علي السفرة أربع صحون واحنا تلاتة.

قال الأكبر وهوينظر إلي الأواني كلها علي السفرة:

– صحيح. حتي الكوبايات الفاضية علشان العصير أربعة وسلطانيات الشوربة أربعة وكمان الشوك والسكاكين والمعالق أربعات، واحنا شيلنا كده الحاجة للسفرة وماخدناش بالنا.

انتبه الأب فسكت قليلا وراح يقاوم دموعه التي صعدت إلي عينيه فجأة، ثم قال بصوت متهدج غير قادر علي منع نفسه:

– ماما حتاكل معانا.

العسل

هكذا شاءت ظروف عمله أن تكون أجازته السنوية هذا العام في رمضان الكريم. زملاؤه المصريون يقولون له ضاحكين هذا هو الجهاد الأعظم. فهو سيتزوج ويمضي شهر العسل ويعود تاركا زوجته. زملاؤه السعوديون يضحكون ويقولون والله ياراجل انت صعبان علينا، بس مافي مشكلة الدنيا شتا وعندك الليل طويل. أما هو فقد لجأ إلي شيخ الجامع القريب وسأله هل يبيح له الزواج الإفطار في رمضان. وطبعا قال له الشيخ أن الزواج لا يبيح الإفطار في رمضان، لكن من المؤكد أن أجره عند الله سيزيد هذا العام عن كل صيام سابق. في القاهرة كانت عروسه تنتظره في ارتباك، غير قادرة أن تسال هذا السؤال لأحد. صاحباتها يضحكن ويقلن لها إنتي مش أول واحدة تتجوز في رمضان. وبعدين يعني انتي حتسافري معاه بعد رمضان وهناك حيبقي شهر العسل الحقيقي. حدثته عبر الشات أن يحاول إرجاء أجازته لبعد العيد الصغير فأخبرها باستحالة ذلك. سيصل في اليوم الخامس من رمضان، وسيكون حفل الزواج في اليوم العاشر، ويعود إلى السعودية آخر أيام العيد الصغير.

تم عقد القران وانتهي حفل الزواج، وصعدا الي غرفتهما التي خصصها لهما الفندق الذي أقيم فيه الحفل ليوم واحد، وفي اليوم الثاني طارا إلي طابا لقضاء أسبوع هناك. في الطائرة جلس جوارها صامتا يبتسم من سوء الحظ. فموعد الفرح أيضا جاء مع موعد دورتها الشهرية. كيف

حقا لم تخبره بذلك فكان يمكن تأجيل الفرح إسبوعا آخر.

لقد جلست ليلة الزفاف صامتة تضع رأسها بين يديها في هم واضح وقالت له:

– سامحني يا حبيبي ماقدرتش أقول لك. زهقت من الظروف دي وقلت علي الأقل أبقي جنبك.

قال مبتسما وهو يرفع يديه إلي السماء:

– رمضان وقلت مش بإيدي. تطلع لي الدورة كمان. سبحانك ما أعظم شأنك.

ثم ضحك وأمسك بيديها يقبلهما وقال:

– ولا يهمك ياحبيبتي. كده حنشتاق لبعض أكتر.

وراح يقبلها بينما كانت دموعها تنزل علي خديها.

في الطائرة قال لها ضاحكا:

– العيلة كلها عرفت ميعاد الدورة الشهرية بتاعتك.

لكزته في ذراعه وقالت:

– إزاي؟

– العيلة كلها كانت مستنية المنديل. دم البكارة.

ضحكت وسألها:

– جبتيه معاكي.

– نسيت.

– كمان. طيب نشتري منديل من طابا.

لكن ران علي وجهها شيئ من الألم فقال لها:

– ياحبيبتي أهم حاجة في الدنيا إن احنا مع بعض. كفاية إنك في

حضني. دا بالدنيا كلها.

ثم ضحك وقال:

– إيه رأيك نفطر هنا وماحدش شايف حاجة؟

نظرت إليه مندهشة فقال ضاحكا:

– حتي لو فطرنا. السكة مقفولة خمس أيام!.

قرصته في ذراعه. وبعد خمسة أيام دخل بها، لكن كان عليهما أن يعودا الي القاهرة في اليوم الثاني. شقتهما تم تأثيثها كاملة. وسيمضيان بقيية الإجازة بها. جهزت أمها الشقة بكل مايمكن أن يحتاجه العروسان من طعام. إعتذرا عن كل دعوة للإفطار من أسرتها أو أسرته. الآن سيمضيان أيام العسل كما ينبغي. أمضيا الليل في هناء والنهار في نوم أو أمام التليفزيون. طول النهار لايكف هو عن الاقتراب منها وهي تبتعد وتضحك وتشير إلي ساعة الحائط كأنما تعلنه باقتراب موعد مدفع الإفطار. يقول علي فكرة البوس مش حرام. تضحك وتمضي من أمامه. مافيش اي حاجة حرام إلا النوم الكامل.يقول ويكمل، انا سألت واحد شيخ في السعودية. تقول له:

– أدخل معايا المطبخ ساعدني وسلي نفسك بالشغل.

دخل معها المطبخ الذي وضعت فيه راديو مفتوحا علي محطة القرآن الكريم. راح يساعدها بهمة، خاصة أن حياته وحده في الغربة جعلته مدربا علي الطهو. لكنه بين الحين والحين يخطف قبلة، أو يأخذها الي صدره فتترك نفسها لحظة، ثم تبتعد ويبدو التوتر علي وجهها. فجاة قال لها:

– سمعتي؟

– سمعت ايه؟

– الشيخ اللي بيتكلم في الراديو قال أن كل حاجة حلال في الصيام إلا الجماع. زي ما قال لي الشيخ السعودي بالظبط.

قالت:

– حبيبي انت بتسمع اللي انت عايزة. وبعين يا حبيبي انت ما بتشبعش؟

قال ضاحكا:

– أشبع؟ دا انا أكبر محروم في الدنيا. دا هما أربع أيام دلوقتي. والحقيقة هما اتنين لأن لينا في كل يوم نصه بس. نص في أربعة يعني اتنين.

– طيب طيب. أصبر ياحبيبي. خليني اشوف الأكل ليشيط ع النار.

وعادت إلي عملها وقالت:

– أحسن حاجة تغسل المواعين اللي استخدمتها. تقف بعيد عند الحوض.

قال بدهشة:

– بعيد. المتر ده يبقي بعيد؟

– أيوة تدي وشك للحيط.

قالت ذلك ضاحكة،وهو بدوره ضحك، وراح يغسل المواعين،وهي بدأت تنتبه إلي أنها سمعت الشيخ يقول شيئا قريبا مما قاله لها. ابتسمت واستغفرت الله وواصلت عملها. بعد لحظات ترك الحوض والأواني وجاء من خلفها وأحاطها بذراعه وراح يقبل عنقها من الخلف. كان صوت الشيخ رفعت يأتي من الراديو وهو عادة يأتى في هذه المحطة قبل الإفطار بخمس دقائق. راحت هي تحاول التملص منه. استطاعت أن

تستدير اليه. النار تكاد تشعلها ولا تستطيع الابتعاد عنه. نظرت إليه صامتة ولاحظ شرود عينيها وقالت بصوت خفيض حرام. أنا خايفة وكان الشيخ رفعت قد انتهي وانطلق مدفع الافطار فحملها إلي السرير قائلا:

- نفطر عسل النهاردة.

وتركا كل شيئ يغلي أو يحترق علي النار.

تامر يؤذن

دعاني أحد ألاصدقاء الشباب للإفطار أنا وزوجتي عنده. ذهبنا قبل الموعد بساعة. سرّ صداقتنا هو صداقة زوجتينا، بل كانت زوجته تلميذة لزوجتي في المرحلة الإعدادية،وهي الآن مدرّسة في المدرسة التي تعمل زوجتي مديرة لها. جلست أنا وهو في الصالة نتحدث والتليفزيون مفتوح أمامنا لا نهتم به. تركناه لإبنه وإبنته التوأم يتفرجان ويقلّبان في قنواته. ولداي لم يكونا معنا فهما متزوجان. إبنه وإبنته في العاشرة. سألني وهو يشير اليهما:

- ايه رأي حضرتك في الولاد. بيصوموا. باحاول أعودهم علي الصيام، وصاموا التلات أيام اللي فاتوا.

قلت:

- مش عارف لكن أنا أشعر إن الصيام غير مناسب لسنهما.

نظر إليّ في دهشة وقال:

- معقول؟ لا. المفروض يتعودوا علي الصيام. العاشرة سن مناسب جدا، خصوصا إننا في الشتاء والفطار بيجي بسرعة.

- مش عارف. أنا أصلي تربيت في بيت بسيط. أبويا الله يرحمه كان متدين جدا لكن في مسألة الصيام ماكانش يضغط علينا في سن مبكر. فاكر إني صمت أول مرة في سن اتناشر سنة تقريبا. وحتي في السن ده أبويا كان دايما يقول لي إذا جعت أوي كل. الدين يسر ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها. عارف حاحكي لك حكاية لطيفة جدا.

ووجدت نفسي أحكي له حكاية مضي عليه نصف قرن تقريبا. كان رمضان في الصيف. وكنت أصوم لأول مرة. وزارتنا جدتي من الأرياف محملة بالبط والأوز والفطير المشلتت. لم تطبخ أمي شيئا ذلك اليوم. فقط أعدت عصير قمر الدين. كان من عادة أبي أن يطلب من أمي وضع الأكل علي الطبلية قبل المدفع بعشر دقائق مثلا أو ربع ساعة. كان يعتبر انتظارنا للمدفع والأكل أمامنا نوعا من الثواب نأخذه لأن في الانتظار شيئا من العذاب. في ذلك اليوم الذي كان الأكل فيه جاهزا وضعته امي علي الطبلية قبل نصف ساعة تقريبا. كان أبي سعيدا جدا وهو جالس أمام الطبلية يقرأ القرآن في صمت من مصحف قديم وينتظر المدفع. أمي جلست في الحجرة الداخلية وراحت مع جدتي في حديث طويل. أختاي الأكبر مني جلستا أمام الطبلية في أدب. كنت ألاحظ أحيانا أنهما تنظران إلي بعضهما في شيئ من الحسرة. في ذلك اليوم كنت أريد أن أثبت لنفسي قدرتي علي الصيام. لكن منظر البطة والأرز المعمر والفطير المشلتت وعسل النحل كان شيئا لا يمكن مقاومته. إنسحبت بهدوء خارجا من باب البيت. كنا نسكن في مساكن السكة الحديد وكل بيوتها دور واحد. كان هناك جامع صغيريؤذن فيه المؤذن بلا ميكروفون. لم نكن نعرف الميكروفونات إلا في الأفراح. وقفت تحت النافذة وأذنت المغرب. رفعت صوتي بقدر ما أستطيع. إنتهيت من الأذان بسرعة ودخلت البيت،فوجدت الجميع يشربون العصير ويبدأون في الأكل. جلست وأكلت معهم في صمت. لاحظت أن أبي ينظر إليّ أكثر من مرة. ارتبكت جدا وخفت. لابد أنه عرف صوتي. في منتصف الأكل أذن المؤذن في الجامع. لم يكن لدينا راديو. لم يكن أحد

يمتلك راديو في المساكن. وطبعا لم يكن التليفزيون قد ظهر. توقفت أمي عن الاكل وقالت. استغفر الله العظيم. مين ابن الحرام اللي أدن وخلانا فطرنا قبل الميعاد. نظر إليّ أبي وقال خلاص. إحنا ماغلطناش وحسابنا عليه عند ربنا. كملوا أكل» اكمل الجميع الأكل في صمت. وبعد ذلك اخذني أبي إلي الغرفة وقال لي هامسا، ماتعملش كده تاني يا مصطفي. ارتبكت وخفت وقلت هو انا عملت إيه؟ قال لي أنت اللي أذنت. أنا عارف صوتك. ما أخدتش بالي علشان كنت مشغول بالقرآن. لكن لما أذن المؤذن الحقيقي انتبهت. افتكرت إني سمعت صوت زي صوتك.أمك برضه عارفة صوتك بس كانت مشغولة بالكلام مع جدتك وكويس إنها ما خدتش بالها زيي. وخواتك البنات عارفين صوتك بس ما اتكلموش علشان أكيد كانوا جعانين.ودول حسابهم معايا. كده يابني ذنب كبير تتحمله في السن ده. جعت كل. مش أنا قايل لك كده؟

ضحك صديقنا الشاب وضحكت معه وارتفع صوتنا جدا. قال:

– وما ضربكش مثلا؟

– لا.

– والد حضرتك دا كان متسامح أوي.

قلت:

– كان يختم القرآن في رمضان في المنزل. أنا حفظت تقريبا نص القرآن من استماعي له. كان زمن وكانت ناس.

بعد لحظات ارتفع الآذان في غرفة داخلية في شقة صديقي. نظرنا إلي بعضنا في دهشة وانطلقنا نضحك. نادي بصوت عالي.

– ياتامر. تعالي هنا.

وجاء تامر إبنه من الغرفة يرتعش.

قلت:

- ارجوك ما تزعلوش.

حاول صديقي الشاب إخفاء ابتسامته وقال:

- جعان؟

قال تامر:

- لا.

- انت جعان.. أمال بتدن ليه؟ ادخل المطبخ عند ماما كل أي حاجة اتصبربيها.

أسرع تامر إلي المطبخ وانطلقنا نضحك من جديد. لقد سمعني وأنا أحكي الحكاية وطبعا لم يكن ممكنا أن يخرج ليؤذن في الشارع، فالعمارة عالية وشقتهم في الدور السابع والمساجد كلها تؤذن في الميكروفونات والتليفزيون أمامنا مفتوح علي التمثيليات ولم يبدأ فيه القرآن الذي يسبق الآذان بعد. وأكيد لم ينتبه تامر من فرط الجوع أننا سنكتشفه بسهولة.وقامت خلف تامر أخته أيضا وأنا لا اتوقف عن الضحك.

بلاش تسافر

لثلاثة أيام تحاول أن تقنع أمها بأن تتركها تفطر مع خطيبها خارج المنزل..

– ليه ياماما بترفضي أخرج معاه؟

– كفاية كده. سنتين خطبة ولا جاب شقة ولاعمل أي حاجة لمستقبله.

– ياماما مش بإيده.

– لأ بإيده. جات له فرص كتير يسافر الخليج وكل مرة يرفض. جوز أختك هناك بعت له أكتر من مرة.أخوكي كمان بعت له. وقلناله يسكن في الشقة اللي بابا اشتراهالك ورفض. إنتي بتحبيه علي إيه؟

– ياماما محمد شاعر ومكانه هنا. مصر. وانتي عارفة أنا باحب الشعر والأدب. محمد مثقف ياماما واحنا بنحب بعض من أيام الجامعة وحضرتك عارفة.

كانت أمها تنظر اليها ساخرة.

– شاعر. بذمتك بتفهمي اللي بيكتبه. خلاص روحي افطري معاه. بس ياريت تقولي له يحط نهاية للحكاية دي. فيه عشرة ورا الباب ده يتمنوا رضاكي. بعدين حتفطروا فين إن شاء الله.

– في المكس عالبحر عند الفنار. عند اللول.

– مين؟

– اللول. مطعم سمك شعبي علي المية علي طول.

- ياهوي. باحسبك حتقولي «سي جل». روحي ولما ترجعي ما تحكيليش حاجة.

وتركتها أمها في غيظ.

إختار محمد مكانا بعيدا بأمتارقليلة عن الناس. الموج تحت أقدامهما والفنار القديم أمامهما وعلي الشاطئ فقراء حي القباري والورديان الذين آثروا البقاء علي الشاطئ طول النهار، وسيمضون أيضا جزءا من الليل فالجو صيف. صوت الموج الذي يتهادي إلي الشاطئ لا ينقطع. والشمس هناك في الغرب تنزل إلي الماء وتصبغ الأفق بحمرتها الشهية. سفن تقف بعيدا جدا تنتظر دخولها إلي الميناء. سفينة خارجة من الميناء تبتعد في الماء. عامل من عمال المطعم القليلين يضع أمامهما أطباق السلاطة.حين وضع العامل أطباق السمك هتفت سعيدة:

- الله. كابوربا وكاليماري ودنيس كمان!

- كميات بسيطة بس قلت أنوّع في الأكل.

- أول مرة في حياتي أكل جنب المية كده. المكان هنا حلو أوي.

كان هو ينظر الي طيور النورس التي تدور فوق الماء. تبتعد وتعلو ثم تعود. تنزل إلي الماء تخطف شيئا وترتفع به الي الفضاء ثم تعود للدوران. لاحظت هي ذلك أيضا فقالت:

- هو النورس بينزل المية ليه؟

إبتسم وقال:

- بيلقط السمك.

- جميل أوي.

قالت ذلك بطفولية عذبة. وانطلق مدفع الافطار فبدأ الحاضرون في

الأكل بينما قام بعضهم يصلي بعد أن فرد مصلية كانت معه علي الأرض. وانساب صوت الشيخ محمد رفعت يؤذن بصوته الذي خلقه الله للسكينة والوداعة والرضا.

سكتا قليلا وراحا يأكلان في صمت. طال الصمت فقالت:

– أنا مش عايزاك تسافر.

إبتسم وعاد للأكل فقالت:

– إحنا كده كويسين وأنا مش حاتخلي عنك أبدا.

إرتبك للحظة ثم عاد يمضغ الطعام شاردا يفكر أنه لابد قد أثير في منزلها كلام عن تخليها عنه.

– بس أنا خلاص. حاسافر.

هلّت الفرحة من عينيها وافترشت وجهها.

– معقول. يعني وافقت؟

ثم وضعت يدها علي يده وقالت:

– مقتنع ياحبيبي؟

– مقتنع. لابد من نهاية يا آمال.

وعادا إلي الصمت وراح من جديد ينظرإلي طيور النورس. رأي أحدها يترك السرب الذي يدور بينه ويقترب من الشاطئ ثم يعود إلي السرب من جديد.ومرة أخري عاد الي صخور الشاطئ يحوم فوقها ويعود إلي السرب البعيد فوق الماء.

– حاجة غريبة. طائر نورس جه مرتين يطير فوق الصخور ويرجع للسرب الأصلي فوق الميه.

ابتسمت وقالت:

- عادي مش بيطير. وبعدين ازاي عرفت إنه هو نفسه.

قال بلهفة:

- بصيّ. أهو جاي.

نظرت حيث أشار فرأت طائر النورس يقبل مسرعا في الفضاء ويدور أكثر من دورة فوق الصخور، ويرتفع ثم ينخفض ثم يرتفع من جديد،ثم يهبط بسرعة فائقة يصل برأسه إلي الصخور ويعود يرتفع ويمضي بعيدا فوق الماء. لكنه ارتفع جدا وبشكل فائق ثم صرخ صرخة مدوية وسقط بسرعة إلي الماء ليختفي وسط الموج. ابتعدت طيور النورس بسرعة في كل اتجاه وحلّقت عاليا وبدأت تصرخ وبدا أنها ستترك الشاطئ.

قالت بدهشة:

- ماذا جري؟

لكن اللول صاحب المطعم وهوصياد قديم وقف قريبا منهما يقول:

- نورس غشيم. نزل الصخر خطف كابوريا. أكيد غرست رجلها فيه. مات. البحر واسع قدامه وكله خير ليه بس يروح للصخر.

طال بينهما الصمت وهما يستكملان الإفطار. في اللحظة التي انتهيا فيها قالت له بشفقة وخوف:

- أنت بتحبني يامحمد؟.

نظر اليها نظرة عميقة كلها شغف وحب وقال:

- قد البحريا آمال.

قالت وهي تمسك بيده:

- خلاص. علشان خاطري بلاش تسافر.

دكان هوا

كان صبيا يعمل في محل جزارة. تعلّم في المحل كل شيئ. الذبح والسلخ والبشكرة. أي إخراج المعدة والأمعاء وتنظيفهما، وطبعا الفرم وعمل السجق. كل ما يتعلق بالمهنة في الحقيقة. كان من أحلامه أن يخصص صاحب المحل جزءا منه كمطعم، لكن صاحب المحل كان يرفض ذلك ويقول له ضاحكا «علشان ييجوا بتوع إلحكم المحلي والحي ووزارة التموين ياكلو بلاش. الله الغني» ويضحك.

جاء اليوم الذي صار فيه كبيرا علي العمل عند أحد. لكنه ظل وفيا لمعلمه صاحب المحل. مات معلمه فلم يشأ وفاؤه أن يجعله يتخلي عن بناته اللاتي كن بعيدا تماما عن المهنة، فهن ثلاثة تخرجن من الجامعات وتزوجت إثنتان منهما. لكنه لم يتحمل معاملة زوج إحدي المتزوجتين فقرر ترك العمل. استطاع بما ادخره مع الزمن ومعاونة زوجته التي باعت ذهبها كله، أن يؤجر محلا في شارع كبير في حي شعبي ويعده للمهنة التي لا يعرف غيرها ويتقنها أكبر إتقان، ويحقق حلمه أيضا في تخصيص جزء كمطعم للكباب والكفتة. كان رمضان الكريم علي الأبواب فتوقع خيرا كثيرا. خفض أسعاره عن كل الجزارين، وفرش الرصيف بالطرابيزات الجديدة، وماكاد نهار أول يوم في رمضان يمضي حتي كان قد باع تقريبا كل كميات اللحم التي عنده، باستثناء ما أعدوه للشي من كباب أو كفته أو طرب أو موزة أو ريش.قبل المدفع بساعة تذكر ماقاله له معلمه الراحل عن رجال الحي أو التموين فاستعد لهم

بالتخفيض فقط في السعر. لكن لا أحد جاءه. فقط هلّ عليه أمين شرطة طويل لا تتوقف عيناه عن الحركة وقال له:

– الباشا متضايق من ريحة الدخان.

إندهش جدا وقال باسما:

– هيا بتعدي الشارع.

– دي مش الريحة بس. الدخان نفسه بيدخل من شبابيك النقطة.

– كانت شبابيك نقطة البوليس أمامه مغلقة دائما. لقد تشاءم للحظة أن يستأجر محلا أمام نقطة البوليس. أحس بذلك وهو يكتب عقد الإيجار. لكنه استسلم للموقع والمنطقة الشعبية. ثم يمكن أن يكون في ذلك حماية له.هكذا حدث نفسه وقتها.

وقف أمام أمين الشرطة مترددا في الكلام ثم قال:

– مش عارف أقول لك أيه!

قال الأمين:

– ماتقولش حاجة. حيتعود. وبيني بينك الريحة برضه عاجباه. بيقول لك ابعت لنا فطار النهاردة.

ابتسم وقال:

– تحت أمرك. للباشا؟

– للباشا الكبيروالإتنين البهوات الصغيرين.

– يعني تلاتة!؟.

– بالضبط. عليك نور.بسّ قلل الكفته وكتر الكباب. ممكن موزة يبقي أحسن.أو أقول لك شكل. كباب علي موزة علي طرب.

قبل المدفع بدقائق كان أمين الشرطة قد عاد إليه وحمل طعاما لثلاثة

أشخاص. أعطاه الفاتورة فنظر اليها أمين الشرطة وابتسم ثم قال في رضا مصطنع:

– معقول برضه.

تكرر الأمر في اليوم الثاني والثالث. وأمين الشرطة يأخذ الفاتورة ولا يأتي بحساب. في اليوم الرابع وقبل المدفع بساعتين وجد أمامه عددا ضخما من رجال الرقابة علي السلع من وزارة التموين ومن رجال الحي. قال لهم وهو يشير للمحل:

– اتفضلوا ما عندناش حاجة تخوفنا.

لكن ظهر أمين الشرطة فجأة وراح يتكلم معهم بصوت غير مسموع، فانصرفوا جميعا مبتسمين. قال لأمين الشرطة:

– ليه ما سيبتهمش يشوفوا شغلهم.أنا ما عنديش مشكلة.

– حضرتك غشيم. هما اللي حيعملوا ليك مشكلة. وحلّني علي ماتثبت إنك صح. وبعدين حتضطر تدي كل واحد كيلو لحمة علي الأقل وكيلو كباب كل يوم. وحيجيبوا بعض. مادام عرفوا السكة.يعني حتقفل وتبيع الهوا بعد كده.

نظر إلي أمين الشرطة نظرة طويلة وابتسم وهز رأسه فقال الأمين:

– معلش الباشا بيقول لك النهاردة عازم ضيوف علي الفطار في النقطة. إبعت له فطار لخمسة.

هز هو رأسه وانصرف الأمين.

بعد الإفطار والعمال تنظف كل شيء قال لهم:

– معلش ياجماعة. كل واحد منكم يشوف ليه كام عندي. مش لازم تستنوا لآخر الإسبوع.

قال أحدهم ضاحكا:

- حتقبضنا النهاردة يا معلم. هي البلية لعبت؟

قال:

- لا. خلاص. حاقفل واشوف محل في حتة تانية. مش لازم استني لغاية ما أبيع الهوا.

سمك وجمبري

سمع بعض أصحابه يتحدثون عن مائدة الرحمن التي يقيمها مرشح مجلس الشعب عن دائرة مينا البصل. المقاعد الخشبية الجديدة التي يجلس عليها رواد المائدة. المناضد الجديدة. الأطباق الصيني والأركوبال. أنواع الأكواب الفاخرة. الطعام المقدم. لحوم مسلوقة وشوربة وكباب وكفتة وطواجن من الأرز المعمر. والأهم أن المائدة داخل سرادق كبير جدا بحيث لا يري من بداخلها أحد. وكيف أن المرشح أحيانا ينضم إلي ضيوف الرحمن هؤلاء فيأكل معهم. إلا أنه رغم ماسمع لم يجد في نفسه الرغبة في الذهاب. مضي أكثر من عشرين يوما الآن من الشهر الكريم وهو يتنقل بين الموائد، وكلها تقدم الخضار واللحم حتي عافت نفسه الخضر واللحوم. لماذا لا يقدم أحد الأسماك في مائدته. اليوم عرف أن مطعم «سي جل» بالمكس قد أقام مائدة منذ أول رمضان. أحس بالأسف لأنه لم يعرف، لكن فليذهب إليه. هو يعرف مكان المطعم وإن لم يدخله أبدا من قبل. هو في الحقيقة من هواة موائد الرحمن، ليس عن حاجة شديدة. ولكن لأنه يعيش وحيدا بعد أن طلق زوجته منذ عامين. هوموظف في إدارة شركة باتا للأحذية بالقباري. يختار منذ رمضان العام الماضي موائد شرق المدينة حيث لا يمكن أن يعرفه أحد. «سي جل» غرب المدينة، لكنه أيضا بعيد عن بيته بما يكفي حيث يسكن في منطقة المفروزة قرب عمله. إذن فليؤجل مائدة عضو مجلس الشعب التي هي ليست إلا رشوة مقنعة لانتخابه.

قبل مدفع الإفطار بساعة، كان قد انتهي من ارتداء أفخر ملابسه، ووقف ينظر في المرآة. بدلة انيقة لكنها موضة قديمة. لا بأس. المهم الكرافتة الحمراء التي ستعطيه فخامة فوق القميص الأبيض، وأخذ طريقه الي سي جل. ركب الأوتوبيس المتجه إلي العجمي، ونزل منه عند شركة بترول المكس. سيمشي قليلا حتي سي جل. كانت ثلث ساعة تقريبا قد بقيت علي مدفع الإفطار. في الطريق إلي المطعم القائم علي البحر، نظر الي بعض المقتنيات القديمة أمامه، مثل الترام القديم والمدفع القديم، وراح يسترجع ما سمعه كثيرا عن المطعم الذي أكل فيه الملك فاروق وفنانو مصر الكبار وقادة الحرب العالمية التانية. دخل إلي المطعم فوجد المناضد كلها تقريبا ممتلئة بالبشر. «ياه كل دول زي حالاتي» وقف مترددا ومرتبكا فتقدم منه نادل في زي فخيم وقال «اتفضل» مشي وراءه حتي ركن بعيد حيث منضدة صغيرة تسع شخصين،وأشار له بالجلوس فجلس وقال النادل:

– معلش حضرتك اتأخرت كتير. مافيش غير المكان الصغير ده. بس برضه بيطل علي البحر.

قال في سرعة ورضا:

– لا دا حلو أوي حد طايل!

ارتبك النادل للحظة من طريقة كلامه، ثم ابتسم وقدم له المنيو – قائمة الطعام – التي علي المنضدة وقال:

– حضرتك ممكن تختار بس الوقت ضيق يعني، فياريت تسيبني اختار لحضرتك.

– أيوة عليك نور اختار أنت.

ارتبك النادل من جديد، ثم عاد يبتسم، وجلس هو ينظر حوله. وجوه لامعة من البشر تكاد تكون حمراء. نساء جميلات. رائحة البارفان تملأ الجو حوله. مائدة رحمن؟ معقول؟ لكن هو ده المطعم.ليس هناك إلا سي جل واحد في الإسكندرية..

حضر نادل آخر بسرعة حاملا كوبا من عصير قمر الدين، وطبقا من الخشاف، وزجاجة ماء معدنية، وكوبا كبيرا. وبعده بسرعة نادل آخر يحمل السلاطات والمخلل وبابا غنوج وطحينة وأنواع غريبة لا يعرفها من المشهيات. ثم جاء النادل الأول يحمل صينية عليها ثلاثة اطباق، في أحدها سمكة بوري كبيرة، وفي الآخر جمبري مشوي كبير، وفي الثالث كاليماري مشوي، وطبقا من الأرز الأحمر المحشو بالجمبري، وسلطانية من الشوربة يظهر منها أطراف من الكابوريا و قطع الكاليماري والجمبري. وضع كل ذلك أمامه وقال:

– آسف جدا. بعد كده حضرتك تيجي بدري علشان تلحق الدنيس والمياس.

– هه. آه طبعا طبعا. دا أنا بكرة حاجي من العصر.

وانصرف النادل مبتسما وزادت حيرته هو من هذا الجو البديع حوله، ولكن انطلق مدفع الإفطار وارتفع الآذان من شاشة التليفزيون المعلقة علي الحائط، وانخرط الجميع في الأكل،وحط عليهم الصمت. راح هو يأكل علي مهل غير مصدق الهناء الذي يشعربه. وقال في نفسه الحمد لله. بلا مجلس شعب بلا نيلة. وأشار للنادل الذي كان قد اختفي ثم ظهر هو وزملاؤه يرفعون الأطباق.

قال النادل:

- الحلو متوفر. فيه كل حاجة.

ارتبك وقال:

- اختار لي انت برضه. النهاردة كله بتاعك.

ابتسم النادل وهز رأسه مستغربا، واختفي ليعود ومعه طبقا بالحلويات.

- شكرا.

قال ذلك وبسرعة التهم مافي الطبق. ثم أشار إلي النادل من جديد، فهز النادل رأسه من بعيد.

كان هويريد أن يسأل النادل هل لو جاء مبكرا حقا سيجد المياس والجمبري، لكن النادل فهم من إشارته إنه يطلب الحساب. لحظات وتقدم النادل إليه ووضع الحافظة الجلدية السوداء أمامه.

- إيه دي؟

- الحساب يافند م. كنت تحب تشرب قهوة والا شاي الأول قبل الحساب؟

فتح الحافظة فوجد فاتورة صغيرة جدا أمسك بها وقال:

- حساب ايه؟

- حساب الفطار يافندم. متين خمسة وسبعين جنيه بس.

ارتبك وارتعشت مفاصله، انفجرت مسام وجهه وجسمه كله بالعرق، وقال بصوت مبحوح لا يكاد يخرج.

- هيا دي مش مائدة رحمن؟

ارتبك كل من في المطعم والنادل يمسك به من كتفه، وينادي زملاءه صارخا فيهم أن يأتوا بسرعة.

مشي معهم وهم يمسكون بكل مكان من ذراعيه وبدلته، والمدير الذي يجلس بعيدا جدا يراقب الموقف ويري دهشة الزبائن علا صوته وقال:

– سيبوه. إتفضل هنا.

وعرفت القصة بسرعة وانطلقت الضحكات بين الزبائن، كما ظهرت علامات الشفقة علي بعضهم. نظر اليه المدير وإلي ملابسه، ثم إلي النادل وزملائه، وقال بهدوء:

– دا شكل زبون لسي جل؟. وبعدين أنا شا يفه داخل قبل المدفع بربع ساعة، يبقي ده يعرف يعني إيه مطعم سمك. اتفضل يا استاذ روّح. مائدة الرحمن ورا المطعم. هنا المطعم نفسه.

ثم نظر لعماله وقال:

– وتمن الوجبة حاخصموا منكم.

أسرع هو خارجا لا يصدق.

رسائل العشاق

علي شاطئ المكس صندوق بريد صغير معلق علي الحائط عند كازينو زفير، كلما مررت به تذكرت قصة الحب الضائع. جرت وقائع الحكاية منذ أكثر من أربعين سنة. كان يمكن أن أنسي القصة كما ينسي العشاق، خاصة وأني تزوجت وصار أبنائي شبابا. لكن ما رأيته منذ أربعين سنة لا يمكن أن أنساه. تقابلت عام ١٩٦٦ مع فتاة من أسوان.كان اللقاء في أحد معسكرات الشباب. كان اسمها رقية. كانت سمراء واسعة عيناها، دقيقة ملامح وجهها.لم يبح أي منا بحبه للآخر. لكن بعد أن عدت من معسكر الشباب في حلوان تلقيت منها خطابا. لم يكن مرّ إسبوع علي فراقنا. لقد تبادلنا العناوين لأنه لم يكن في بيت أسرتي تليفون. كانت الرسالة داخل الخطاب معطرة لأنها وضعت بينها زهرة من القرنفل. كان خطها جميلا وصغير الحروف. قالت لي في الخطاب بلغة عربية جميلة « هل لك أن تأتي إلي أسوان في زيارة وتنزل في فندق كاتاراكت الجميل « لقد أبدت استعدادا حقيقيا أن تعزمني في الفندق. كان والدها أحد المهندسين الكبار في مشروع السد العالي. أرسلت لها خطابا يحمل مشاعري الجميلة نحوها. جاءني بعد إسبوعين خطاب آخر تصف لي فيه سحر مدينة أسوان. سحر النيل وجزيرة النباتات وغيرها من معالم المدينة.أرسلت إليها خطابا أيضا أرد عليها ضمنته كثيرا من مشاعر الحب. وتلقيت خطابا آخر تعيد عليّ فيه أيام معسكر الشباب وكم كانت جميلة. لاحظت أنها في أي خطاب لاترد

علي خطاباتي ولا تأتي علي ذكرها. هل لا تصل خطاباتي أليها؟. أنا أضعها في الصندوق الخشبي الوحيد في المنطقة. أرسلت اليها خطابا أسالها عن ذلك. لكن رسالتها التالية تأخرت كثيرا. ثم لم تعد تأتيني رسائل منها. في ذلك الوقت كان كازينو زفير مغلقا. وكانت هناك محطة سكة حديد مهجورة في المكس نادرا ما رأيت قطارا يأتي إليها، وكان دائما إذا جاء يكون قطار بضائع. حتي جاءني صديقي إسماعيل عبد السلام الذي يسكن وأسرته معنا في نفس البيت، وطلب مني أن نخرج قليلا قبل مدفع الإفطار لنجلس علي الشاطئ. كا ن الطلب غريبا فنحن في ديسمبر والجو شتاء. كان الشتاء ذلك الوقت حقيقيا وليس كما هو الآن. لم يكن هناك احتباس حراري في العالم يزيد من درجة حرارته، ولم تكن الحكومات المصرية الجاهلة قد ردمت بحيرات مصر العظمي وعلي رأسها طبعا بحيرة مريوط. بحيرة مدينتي الاسكندرية، فازدادت البلاد احتباسا علي احتباس. حرارة علي حرارة. وضاع شتاؤها. خرجت مع إسماعيل الذي كان حزينا جدا. وحكي لي قصة حبه الضائع. هويحب سميرة ابنة خالته في طنطا.لكنها لم تعد ترد علي رسائله. وخالته جاءت أمس لتعزمهم علي زواج سميرة. كانت خالته وهي تتكلم عن العريس لا تبعد نظرها عنه كأنها تلومه علي عدم زواجه من سميرة. هي تعرف أنها تحبه وتعرف أنها ارسلت إليه كثيرا من الرسائل.لقد توقفت سميرة عن التعليم بعد الإعدادية لأنها طاغية الجمال، ولم يكن يمكن لأبيها الريفي أن يترك هذا الجسد الجامح يمشي في الطرقات.

لم يشترك أبدا في الحديث مع خالته. كل ما قاله إنه اعتذر عن الذهاب مع أسرته إلي الفرح. كان متأثرا جدا من ضياع حبه الأول. ومندهشا

جدا من أن سميرة لم تذكر له أبدا في خطاباها أنه وصلها خطاب منه. لقد توقفت عن مراسلته بعد الخطاب الخامس. وقالت أمها ذلك بوضوح لأمه اليوم بعد أن ظلت أمس لا تشير إليه. أخذنا الكلام والألم حتى انطلق مدفع الإفطار ولم نشعر. رأينا الدنيا خالية حولنا من كل البشر، وسمعنا صوت المؤذن يأتي من بعيد. قلت:

- نذهب للإفطار.

قمت اقف وقام معي، لكنا رأينا طفلين صغيرين لا يزيد عمر أكبرهما عن العاشرة يقتربان من صندوق البريد.نظرنا ناحيتهما فوجدنا أحدهما يضع «مفك» في جانب باب صندوق البريد الخشبي ويفتحه بسهولة. تبادلنا النظر. إندهشنا جدا. «يااولاد الإيه. جايين ساعة الفطار علشان ماحدش يشوفهم» قال اسماعيل ذلك ثم صرخ فيهما:

- ولد. تعالي هنا انت وهو.

كان الذي فتح الصندوق يحمل عددا من الخطابات في يده. تقدم إلينا مرتبكا خائفا وزميله جواره أكثر ارتباكا. قال حامل الخطابات بعد أن اقتربا منا.

- معلش والنبي. مش قصدنا حاجة.

سألتهما:

- انتم بتعملوا كده من زمان؟

- الولد أحمد بن عم جابر الصياد هو اللي علمنا كده. قال لنا إن الجوابات دايما عليها أسماء بنات.بنجيبها له يقراها ويكتب زيها لبنت المعلم زيدان.

تبادلنا أنا واسماعيل النظر في دهشة. كدت أنا أضحك في الحقيقة.

سألهما اسماعيل:

- وهو عرف منين الكلام ده؟

- مش عارفين بس هو دايما يعمل كده. آه والله.

قال اسماعيل:

- وريني الجوابات.

مد الولد يديه بالخطابات وهو يرتعش. نظر فيها إسماعيل وأعطاها لي. كلها مرسلة إلي بنات حقا.

قلت للولدين:

- خلاص امشوا وماتعملوش كده تاني. اللي بتعملوه عيب وحرام كمان. ياللا من قدامي.

جري الولدان وبقينا أنا وإسماعيل ينظر كل منا إلي الآخر. ماذا يمكن أن نفعل الآن؟ لو أعدنا الخطابات للصندوق البريدي سيعود الأولاد ويأخذونها. لو بحثنا عن أصحابها وخاصة أن علي بعضها اسم الراسل، ربما نبدو نعرف سرا لا يريد صاحبه أن نعرفه.

قال اسماعيل في أسف:

- هكذا ضاعت سميرة.

قلت وأنا أهز رأسي:

- وهكذا ضاعت رقية.

زاد علي وجهه الأسف الذي ما لبث أن صار غيظا، وأمسك بكل الخطابات وقفز من سور الكورنيش المنخفض إلي الرمال، والقي الخطابات كلها في الماء.

- ماذا فعلت؟ يامجنون.

عاد قافزا إلي الشارع جواري لكني لم أعد منتبها إليه. كنت أنظر إلي الموج الذي عاد إلي الداخل ساحبا الخطابات معه، والأسف يزداد علي وجهي. لكن فجأة عاد الموج إلي الشاطئ حاملا الخطابات وقبل ان تستقر علي الرمال انفتحت وهي أعلي ذؤابات الموج، وخرجت من داخلها الرسائل تطير عاليا في الفضاء، وتتجه كل رسالة إلي ناحية في البلاد. رحت أرفع رأسي إلي السماء أري الرسائل تتفرق تحتها، وهو بدوره راح يفعل ذلك ولا يصدق ما يراه. تماما مثلي الذي لا يصدق ما جري حتي اليوم. ليتهم ألقوا رسائلنا في الماء.

شارع الملك

لم يكن قد غادر أهله من قبل إلا للجندية.أمضي في الجيش سبع سنوات حضر فيها حرب الاستنزاف كلها وحرب أكتوبر. تأخرت موهبته الشعرية في الظهور إلي الناس. لكنه كان علي فترات متباعدة يرسل قصيدة إلي جريدة المساء أو مجلة الهلال فيجدها منشورة بعد ذلك. إطمان إلي أنه حين يترك الجيش ويجد عملا في القاهرة سيجد فيها من يتآلف معهم من الأدباء وسيبذغ نجمه. سكن في شارع الشيخ الأجهوري بحدائق القبة وعمل في الشهر العقاري ومضت الأيام طيبة. علي المقاهي لا تنقطع المناقشات الأدبية واحتجاجات الأدباء علي سياسة الرئيس السادات واتفاقية كامب ديفيد. بدا له الوقت غير كاف خاصة إنه في شقته يمر عليه الكثير جدا من الأصدقاء من الشعراء وكتاب القصة. كان يعاني من قلة الوقت المتاح له للقراءة والكتابة لكثرة الكتاب الصعاليك وسهولة زيارته.أتي شهر رمضان. الضابطان اللذان يسكنان في الغرفتين الأخريين بالشقة لا يزالان متغيبان. سيأتيان مرة او مرتين ويعودان إلي وحداقمما في الجيش كما تعود منهما منذ سكن. راح يعد طعام الإفطار بحماس. ويغني مع أغاني الراديو متوقعا أن يمر عليه أحد. لم يأت أحد.وضع الطعام أمامه علي السفرة الصغيرة وجلس متهيئا لسماع مدفع الإفطار من الراديو. صمت كبير عميق شمل الدنيا من حوله. لماذا حقا لم يذهب الي المنصورة ليكون بين أهله هذا اليوم الأول من رمضان. في الجيش كانت الحركة كثيرة حوله

قبل الإفطار وبعده تشغله عن ذكري أهله. اليوم لا أحد.فتح نافذة غرفته وأطل علي الشارع. لا أحد. صوت القران الكريم فقط يهدهد الروح. إنطلق المدفع وأكل لكنه لم يشعر بطعم الطعام. لم يسمع دعوة أبيه له بالصحة والنجاح وطول العمر. لم تقدم له أمه نصيبه من الدجاج أو البط وتدعو له بالهناء. لم يقل أخيه الاكبر نكتة كما تعود عن بعض أصحابه. لن تقدم له اخته بعد الإفطار طبق المهلبية أو الكنافة. لا جنود حوله يثيرون الصخب. الآن كل أصحابه في بيوتهم. من المؤكد أنهم سيظهرون بالليل. لكنه الآن ولا أحد. لم يستطع الجلوس. انتهي بسرعة من الطعام. الذي لم يشعربطعمه. ارتدي ملابسه بسرعة ونزل من البيت. المسافة قريبة من شارع الملك. شارع مصر والسودان الذي لا يزال الناس يسمونه بشارع الملك.هل هذا اسمه القديم أولأنه ينتهي عند قصر القبة؟ دقيقة أو اثنتين وكان في الشارع. الشارع طويل من الناحيتين. طويل كأن لا نهاية له من أي جهة. طويل يملأه الصمت والفراغ رغم أنه بالنهار يعج بالحركة والبشر. المحلات كلها مغلقة كأنها لم تكن موجودة في الصباح. إلي أين يتجه. يسارا في اتجاه قصر القبة أم يمينا في اتجاه دير الملاك؟ يمينا حتي إذا وصل إلي محطة الدمرداش يكون المترو قد عاد للعمل بعد راحة الإفطار،فيأخذه إلي ميدان التحرير، ويكون الناس قد ملأوا الشوارع. لكنه قرر إذا وجد مقهي يجلس فيها. أجل. لابد أن يكون في المقهي أحد. يشرب شايه فيها معه. بعد قليل وجد مقهي علي اليسار فدخلها. كان إثنان يتناولان إفطارهما ولم ينتهيا بعد. واضح أنهما يعملان بالمقهي. كان أمامهما صينية من البطاطس واللحم وأطباق من الأرز والسلاطة والمخلل. إنتبها إلي دخوله. قال أحدهما ضاحكا:

- معلش. حنكمل فطار بس. كان زمانا خلصنا والله بس تعمل إيه في البيه اللي صمم يعمل صينية بطاطس في الفرن.

كان يشير إلي زميله الذي يأكل معه ويضحك والطعام في فمه فيهتز جسمه. ابتسم هو وقال:

- بالهنا والشفا.

قال الذي كان يضحك والطعام في فمه:

- حضرتك فطرت؟

- الحمد لله.

- حضرتك بتاكل بسرعة أوي.

سكت مبتسما ولم يرد فعاد الأول يتكلم:

- علي فكرة حضرتك ما فطرتش. ياريت تيجي تاكل معانا.

- صدقني فطرت. أنا داخل القهوة علشان أشرب شاي.

- معلش. أنا والله عندي نظر. حضرتك ما فطرتش. اتفضل معانا ما تكسفش.

نظر إليه نظرة عميقة ووجد نفسه يقوم من مكانه ويجلس معهما ويقول:

- أنا فعلا مافطرتش.

قدم أحدهما ناحيته صينية البطاطس وقال:

- اعتبر الصينية كلها بتاعتك. بالهنا والشفا.

وراح الآخر يغرف له الارز في طبق فارغ وبكمية كبيرة ويقول:

- لعلمك بأه أنا أحسن واحد يعمل رز في مصر.

وانهمكوا في الأكل لحظات، وفجأة نظر إليه أحدهما في دهشة.

- ياه حضرتك بتعيط؟

مسح براحته دمعا خفيفا بدأ يترقرق في عينيه وقال:

- بالعكس. أنا فرحان أوي.

ضيوف غير عاديين

عندما وجد إيجار الشقة رخيصا لم يصدق، لكن السمسار قال له:

– تقدر تسكن ببلاش كمان!

– ازاي يعني؟

– بصراحة البيت كله فاضي. البيت تلات أدوار زي ما انت شايف. وفي كل دور شقتين. وكل أصحاب الشقق هجروها.

– عجيب. طيب ليه؟

– حاقول لك زي ماقلت لغيرك. لعلم حضرتك أصحاب الشقق قالوا لي ما اتكلمش بس أنا باخاف من ربنا.

– انت غريب أوي. هو فيه إيه؟

– البيت دا مسكون. هي شقة واحدة اللي حصلت فيها جريمة القتل. الشقة البحري اللي في الدور الأخير. لكن بعدها كل السكان مشيوا من البيت.

– خافوا؟

إرتبك السمسار ثم قال:

– برضه مش حاكذب عليك. كلهم قالوا إنهم شافوا عفاريت.

إنطلق يضحك. معقول؟ فكر متعجبا. منذ طفولته يسمع كلاما من هذا النوع، لكنه لم ير هذه العفاريت أبدا. سمع حكايات كثيرة عمن رأوا العفاريت. لكنه لم ير أصحاب هذه الحكايات. هو قادم من الريف المليئ بهذه القصص إلي القاهرة المليئة بالزحام.أي عفاريت تعيش بين

زحام القاهرة! وشقة رخيصة ومفروشة في هذا الزمن شيئ لا ينبغي التفريط فيه. لكنه تردد قليلا وقال:

- طيب انت قلت ده لكل اللي جم يسكنوا و ماحدش سكن؟

- اتين. بس ماطولوش. والكلام ده من سنة.

ثم رفع السمسار صوته وقال:

- شوف يا أستاذ ممكن تجرّب. واحنا داخلين علي رمضان. في رمضان الشياطين بتنحبس. صح. جرب شهر كده. يمكن بعده العفاريت تنكسف منك والا حاجة.

وانطلق السمسار يضحك وبدوره ضحك معه. قال:

- الشياطين غير العفاريت يا ريس. لكن اتكلنا علي الله. بس ناخد شقة غير اللي حصلت فيها جريمة القتل.

- وهو كذلك.

قال السمسار ثم دخل به إلي شقة في الدور الأول.

- خليك هنا علشان تبقي قريب من الشارع.

هز راسه ساخرا، ونظر إلي الشقة التي راقته جدا في اتساع حجراتها الثلاثة وصالتها ومطبخها وحماميها. كتب معه في الشقة عقد الإيجار وهما يجلسان الي السفرة. قال:

- أثاث الشقة جميل.

قال السمسار:

- دي أصلا بتاعة صاحب البيت. أستاذ في الجامعة.

انتهيا من كتابة العقد وأخذ السمسار ما اتفقا عليه من اجرة وأتعاب وخرج. وضع هو ملابسه التي يحملها في حقيبة كبيرة معه في دولاب

غرفة النوم. الحقيقة إنه تجول في الغرف غير عابئ بأي شيئ، وقرر أن يمضي فيها أطول وقت ممكن تحديا لما قيل.وهكذا قرر أن لا يسهر كثيرا في الخارج.

مضت الليلة عادية جدا إذ ظل أكثر الوقت يتابع التليفزيون حتي نام. ومرّت الأيام التالية عادية أيضا. صحيح أنه كان يسمع أحيانا طقطقة من ناحية المطبخ، لكنه لم يهتم. صحيح أنه كان يغلق نافذة غرفة النوم وينام ليصبح يجدها مفتوحة، لكنه لم يهتم. ربما لم يغلقها جيدا.والآن صار في رمضان ففضل أن يتناول إفطاره في الخارج في أي مطعم وسط الناس. يعرف صعوبة الوحدة في رمضان ساعة الإفطار. طالما سمع أبوه يتحدث بذلك لأمه عن أيام شبابه حين سافر ليعمل في دولة عربية في السبعينيات من القرن الماضي وكان يعيش وحده. في منتصف الشهر كان تقريبا قد نسي ماقاله السمسار، وزادت سعادته بالأجرة الرخيصة للشقة الفاخرة. قرر أن يفطر في الشقة. أنفق كثيرا من نقوده في المطاعم. قرر أن يطبخ ويوفر. اشتري كيلو لحم ودجاجة وبطاطس وطماطم وخيار وقمر الدين وغير ذلك مما يمكن له أن يطهوه أو يصنعه. قبل مدفع الإفطار بساعتين بدأ يطهو طعامه. صينية بطاطس باللحم تكفيه أكثر من يوم. وسلاطة ليوم واحد وعصير لأكثر من يوم وأرز لأكثر من يوم. بدا سعيدا جدا بهذا الإنجاز. قبل مدفع الإفطار بعشر دقائق راح ينقل الأطباق إلي السفرة. أول ما نقل كان طبقا من البطاطس باللحم. عاد إلي المطبخ وملأ طبقا بالأرز، وذهب به إلي الصالة ووضعه علي السفرة جوار طبق البطاطس، فانتبه إلي أن طبق البطاطس غير موجود.إرتبك واتسعت عيناه دهشة. ترك طبق الأرز وعاد بهدوء إلي

المطبخ فوجد طبق البطاطس كما هو في المطبخ لم ينقله. وقف حائرا. هل يمكن أن ينسي بهذه السرعة. هز رأسه وأخذ طبق البطاطس من جديد وعاد ليضعه علي السفرة فوجد طبق الأرز في مكانه. إذن هو لم ينقل إلي السفرة من قبل طبق البطاطس. عاد مبتسما إلي المطبخ وحمل طبق السلاطة وذهب به إلي الصالة. كل شيئ في مكانه. الحمد لله. قال فاتحا كفيه أمامه. لكنه لم يجد زجاجة العصير التي أعدها. هل نقلها من قبل إلي الصالة. لم يحدث. ربما حدث. هو مرتبك قليلا فاقد الذاكرة ألي حد ما من أثر الصيام في هذا الجو الحار. خرج إلي الصالة فوجد زجاجة العصير وثلاثة أكواب جوارها. لماذا ثلاثة اكواب؟ هو وحده ولايمكن أن ينقلها جميعا، مط شفتيه وهز حاجبيه. لا يجب أن يخاف. ربما وضع الأكواب كلها من قبل. أمس مثلا وأول أمس هو يعمل علي اللاب توب يدخل علي الفيسبوك وغيره ويمضي وقته. أكيد كانت هناك زجاجة ماء بارد حملها من قبل إلي المطبخ بعد أن فرغت، ولم يحمل الأكواب. إنه يشرب الماء كثيرا في هذا الجو، ويحمل الزجاجة بعد أن تفرغ ليملأها ويضعها في التلاجة مع أخواتها، وحين يأتي بها مرة أخري يحمل دائما معها كوبا ولا ينتبه الي الكوب الذي تركه من قبل.ربما. ليس لديه وقت طويل ليفكر أكثر من ذلك بقت دقائق الآن علي مدفع الإفطار. هكذا فكر حين نظر إلي ساعته. إنتبه إلي أن التليفزيون علي قناة عربية. ذهب إليه وحوله إلي القناة المصرية. في نفس اللحظة انطلق مدفع الإفطار. التفت يعود الي السفرة فوجد قطان كبيرا الحجم، أحدهما اسود والثاني أصفر، يجلسان إليها ويمسك كل منهما كوبا في يده، وينظران إليه بعيون حمراء واسعة. لقد تركا له الكوب الثالث وكانا أيضا يبتسمان!

صومكم مقبول

صعد بسيارته أعلي كوبري إكتوبر من الدقي. بقيت ساعة علي مدفع الإفطار. يستطيع فيها أن يصل الي بيته في حدائق القبة مرتاحا.هو الآن يقترب من ميدان التحرير. لا يعرف لماذا فكر أن السيارة يمكن أن تتعطل فجأة فيتأخر في الإفطار مع أسرته. ماكاد يفكر في ذلك ويبتسم من هواجسه الغريبة، حتي أبطأت السيارة من سيرها واهتزت أكثر من مرة.إتجه الي جانب الكوبري وتوقف متضايقا من نفسه. ما الذي جعله يفكر في تعطل السيارة حقا؟ بدا لنفسه أنه السبب، وأن السيارة استجابت لأفكاره. لمح أمامه من بعيد رجلين يقفان جوار موتوسيكل، ثم رآهما يركبان الموتوسيكل ويصلان اليه. كانا يرتديان ملابس قديمة. كل منهما يرتدي بنطلون وقميص قديم وحذاء قديم أيضا.احدهما طويل نحيل والآخر قصير ممتلئ. كانت السيارات قبل صعودها إلي الكوبري من الدقي قد توقفت كثير في انتظار مرور أحد الوزراء. كان الجميع في ضيق شديد من اختيار الوزيرأو أي مسؤول هذا الموعد للمرور من فوق الكوبري. تقريبا ضاع صيام الصائمين من فرط ما أظهروه أو أبطنوه من لعنات. بعد أن فتح الطريق أسرع الجميع وكان هو من البداية في الصفوف الأخيرة لذلك صار علي الكوبري متأخرا أيضا.

حين رأي الرجلين يتجهان إليه فكر أنهما من عناصر أمن الدولة، أو المباحث العامة المتنكرة التي تتواجد في مثل هذه الحالات. وربما كانا سيتركان المكان لولا أنهم رأوه. لكن ماذا سيريدون منه الآن حقا وقد

مرّ موكب الوزير؟ هز رأسه نافضا وساوسه القهرية هذه. وسمعهما يسألانه:

- العربية اتعطلت؟

- أيوة.

- مش عارف السبب؟.

- لا. أنا ما افهمش في الميكانيكا.كمان أنا شاريها جديد. من تلات شهور بس، ويادوبلك باعرف اسوق.

- احنا ميكانيكية. بنقف علي الكوبري علشان لو فيه حاجة زي كده نصلحها. بناكل عيش يعني.

إنتبه أنه لم يرهما من قبل علي الكوبري. لكن بسرعة طرد أي شك فيهما من رأسه من جديد.

دخل الطويل السيارة وحاول إدارتها فلم تدر. كرر ذلك أكثر من مرة فهتف فيه:

- بلاش ليكون سير الكتينة انقطع. كده العربية تبوظ.

ابتسم القصير وقال:

- طيب ما حضرتك بتعرف ميكانيكا.

قال:

-ابدا. دي معلومات يعني سمعتها قبل كده.

فتح الطويل كبوت السيارة ونظر فيها دقائق وقال:

- كل حاجة تمام. سير الموتور وسير الدينامو.

نزل القصير أسفل السيارة ونام تحتها لحظات وخرج يقول:

- طلمبة البنزين. لازم تتغير.

نظر هو في ساعته وقال:

– طيب حنلاقي حد فاتح دلوقتي نشتري منه؟

قال القصير:

– إحنا عندنا في الدكان بتاعنا كل حاجة. الدكان قريب من هنا في شارع شامبليون. جنب السفارة الإيطالية. حاروح أجيب لك طلمبة بنزين.

وركب الموتوسيكل وأسرع بعد أن أخذ منه مائة جنيه.

وقف هو ينظر في ساعته. قال الطويل:

– لسة ساعة إلا ربع علي المدفع. إن شاء الله حتلحق الفطار. حضرتك رايح فين؟

– حدايق القبة.

– لا قريبة. عشر دقايق ويمكن خمسة علي الكوبري.

بعد حوالي ربع ساعة عاد القصير.كان هو قد فكر فجأة أن السفارة الايطالية في جاردن سيتي. سال القصير بعد عودته:

– بتقول دكانكم جنب السفارة الإيطالية في شامبليون. السفارة الإيطالية في جاردن سيتي.

قال الطويل بسرعة:

– هو يقصد القنصلية. ليهم قنصلية قريب من دار القضاء العالي.

سكت.لم يسمع عن هذه القنصلية من قبل لكن ربما كانت هناك حقا. وراح القصير يعمل فأخرج الطلمبة الأصلية للسيارة وأطلعه علي الطلمبة الجديدة وقال:

– معلش. مالقيتش غير دي بتاعة الفيات بس تشتغل مع عربيتك.

كام شهر كده وتغيرها.

كان قد لاحظ أن القصير حين عاد بالموتوسيكل، عاد ومعه أيضا كيسا كبيرا من البلاستيك من محل كشري. ونزل القصير تحت السيارة وخرج ليقول له:

– إتفضل دور العربية.

دخل إلي السيارة وأدارها فدارت. بانت علي وجهه علامات الارتياح.أعطاه الطويل علبة كشري من الكيس وملعقة من البلاستيك وقال له:

– إن شاء الله حتلحق الفطار بس خد دي علشان تفتكرنا لو ماالحقتش. من باب الاحتياط يعني.

أخذها باسما وتقدم منه القصير بالطلمبة القديمة وقال:

– لو حضرتك عايزها خدها بس يعني مالهاش لازمة تاني.

قال له سعيد ا:

– خليها لكم. عايزين مني أي حاجة.؟

قال القصير:

– عشرين جنيه بس لإن إحنا حنبيع الطلمبة مع الخردة. تجيبلها خمسة جنية. وكفاية اللي حضرتك دفعته.

أعطاهما عشرين جنيها وتحرك بالسيارة. انطلقا بالموتوسيكل وسبقاه واختفيا تماما عن الأبصار. عند ميدان رمسيس تعطلت السيارة من جديد.

ظل بها لمدة ساعة حتي عادت الحركة بعد الإفطار. وجد تاكسيا يسحبه إلي الميكانيكي الذي أخبره وهو يضحك بأنهما لصان وقع في

أيديهما مرة أحد زبائنه وأخذا الدينامو نفسه، وأهما هكذا ترفقا به حين أخذا طلمبة البنزين، وأن الذي نام أسفل السيارة في البداية هو الذي قطع البنزين عن السيارة حيث ضغط علي الخرطوم الرفيع القادم من التانك بالبنزين إلي الموتور بمشبك معدني معه وخنقه، وفيما بعد نزل من جديد ونزع المشبك ومشي البنزين في طريقه.

وقال الميكانيكي ضاحكا:

– عربيتك بالكتير شرقت. تلاقيك دست بنزين كذا مرة من غير سبب.

إتسعت عيناه وضحك وقال:

– فعلا كنت متغاظ من الانتظار للمسؤول الله لا يكسبه وتقريبا عملت كده.

أخذا يضحكان معا وقال الميكانيكي.

– بس بصراحة كانو ذوق أوي. ادولك علبة كشري فطرت بيها في العربية. يعني حللوا السرقة.

وضحكا من جديد.

– لا وكمان وهو بيديني علبة الكشري قال لي صومكم مقبول.

فكر بغيرك

دخل علي الفيس بوك كعادته فوجده مختلفا عن كل يوم. كل الصفحات يهنئ أصحابها بعضهم البعض بحلول رمضان الكريم. كتب علي صفحته تهنئة لكل الاصدقاء لأنه لن يجد الوقت ليهنئهم كل علي حدة. الكلمات هي الكلمات كل عام منذ وعي إلي الدنيا قبل الفيس بوك والموبايل بكثير. كان يسمعها صغيرا وصار يقولها كبيرا. فقط وجد الناس الفرصة في التنكيت علي جملة «رمضان مبارك». الحقيقة أن هذا التنكيت بدأ منذ خمسة أو ستة أعوام قبل ثورة ٢٥ يناير. روح الدعابة عند المصريين راحت تسخر من الرئيس مبارك مع بداية كل عام جديد، أو حلول أحد الأعياد. « نفسي بأه استعمل كلمة غير مبارك دي. عيد مبارك. رمضان مبارك. هو ما فيش غير مبارك «وهكذا يرمي الكلام إلي ضرورة التغيير. تبادل السلطة الذي لم يعرفه المصريون منذ ثورة يوليو إلا بتدخل إلهي. لكن صديقة شابة من سوريا كتبت علي صفحتها «وأنت تعد إفطارك فكر بغيرك» المعني بسيط وواضح. أن تساهم في إطعام فقير أو ذي حاجة. لكنها فتحت باب الحزن إلي آخره. ترك الفيس بوك وترك مكتبه.ودخل إلي سريره لينام،لكنه ظل ينظر إلي سقف الحجرة حزينا حتي ظهرت خيوط الصباح فشده النوم إلي مملكته. استيقظ متأخرا في اليوم التالي ليجد زوجته قد تغيبت عن العمل. فاليوم سيحضر عدد من أسرتها ليشاركوهم طعام الإفطارلأول أيام رمضان. عادة لم تنقطع منذ سنوات. جلس هو قليلا أمام التليفزيون والدهش من

كونه أيضا لم يذهب إلي العمل ونام كل هذا النوم، رغم إنه لن ينشغل بالمطبخ وإعداد الطعام مثلها.تذكر ما سبب له الألم ولاحظت هي كثرة قيامه وجلوسه. تردده بين الصالة حيث التليفزيون وغرفة النوم. كان إذا دخل الغرفة سقط فورا في النوم من جديد لدقائق و سرعان ما يستيقظ ليذهب إلي الصالة التي ما يلبث أن يتركها. لاحظت أنه لا يرد علي الموبايل الذي لم يتوقف تقريبا عن الدق طول النهار. قالت له:

- مالك. ليه ما بتردش علي الموبايل؟

نظر اليها وقال:

- هو بيرن؟

- ياهوي يامحمد دا ما بيبطلش رن. إقفله أحسن إذا كنتش عايز ترد.

- لا خليه. يمكن حد يحتاجني في حاجة.

- طيب إبقي رد والا أرد أنا؟ أقول نايم، المهم إذا كان فيه حاجة مهمة أقول لك عليها.

- زي بعضه. إبقي ردي انتي.

وتركها وذهب إلي غرفة النوم من جديد. ترددت قليلا ودخلت خلفه. وجدته قد دخل في النوم في الحال.

- ياهوي. لحقت نمت؟

وهزّته برفق.

- محمد. محمد.

إستيقظ.

- حتفضل طول النهار نايم كده. وبعدين انت بتنام في ثانية. إيه

الحكاية؟

نظر إليها مبتسما ابتسامة رقيقة، ولا حظت شحوبا مفاجئا في وجهه.

– مالك ياحبيبي. دا احنا لسة في أول يوم. وشك أصفر خالص.

– ما تخافيش أنا كويس.

– باقول لك إيه. إن الله يأمركم أن تؤدوا رخصه كما تؤدوا فرائضه. يعني إذا كان الصيام حيسبب لك هبوط في الدم افطر واطعم اتنين كل يوم وخلاص.

هز رأسه وقال:

– ماهي دي المشكلة.

– ما فيش مشكلة إحنا ربنا ساترها معانا. مش مهم عشرين تلاتين جنيه في اليوم.

– لا. قصدي هي دي المشكلة معايا من امبارح. واحدة سورية كتبت علي الفيس بوك، وأنت تعد إفطارك فكر في غيرك.

نظرت إليه في دهشة فاستمر يتحدث:

– من امبارح عمال أفكر في غيري. من امبارح عمال افتكر. أنا شفت ناس كتير أوي فقرا. وعشت بين الفقرا والمستورين. أنا ساعدت ناس كتير أوي في حياتي. لكن لسة فيه ناس كتير عايزة المساعدة.

قالت في دهشة شديدة وخوف.

– سلامتك يامحمد. جري لك إيه. بلاش النيلة الفيس بوك ده في رمضان. ما احنا عارفين إن في رمضان الواحد يساعد علي قد ما يقدر. لكن حتقعد تفكر في الغلابة اللي في البلد مش حنخلص. دا سبعين في

المية تحت خط الفقر. وبعدين ماهو الكلام ده بيتقال كل سنة. ومن غير فيس بوك.

ونظرت اليه فوجدته شاردا في حزن فهتفت:

- الله اكبر.. بسم الله عليك ياحبيبي. إنت مش صغير علشان تتعب كده علشان الناس. وبعدين هي كتبت كده ليه. ما تشوف اللي حاصل عندهم. دا كل يوم مية ومتين قاتلهم بشار.

- ما تلوميهاش.

فكرت قليلا وقالت:

- هيا صاحبتك علي الفيس؟

- أيوة.

- اسمها إيه؟

- أمل سهيل.

- طيب أنا حادخل علي صفحتها وأقول لها ما تكتبش كده تاني. أقول لك اشطبها من صحابك.

ضحك وقال:

- هيا مش كاتباه ليا لوحدي.

- طيب خلاص ريحتني. ماتدخلش علي صفحتها. وبعيدن ياحبيبي زي ما قلت لك الواحد لو فكر في اللي محتاجين لا حياكل ولا حيشرب.

- المصيبة إني طول عمري عارف كده. ما اعرفش إيه جرالي النهاردة. مع إني بقالي كام يوم مبسوط خالص. من ساعة ما شفت مبارك ورجالته في القفص مزاجي حلو.

سكتت قليلا وقالت:

- عارف مين اللي محتاج دلوقت؟
- مين؟
- اقول لك وماتزعلش؟
- قولي.
- حسني مبارك.

نظر إليها مندهشا جدا فقالت:

- الواحد بيضيع منه عشرة جنيه بيتنكد. دا ضاعت منه بلد.

ابتسم وهو يهز رأسه في حيرة.

- وكمان مش كان وزير الإعلام أنس الفقي هو اللي بيسنده رايح جاي؟ دلوقتي دا في حتة ودا في حتة.

ظل ينظر إليها ولايرد فقالت:

- ياريت في سوريا يخلصوا ويجيبوا بشار معاه. أهو صغير زي أنس الفقي.بدأ يضحك بصوت غير مسموع ويهتز جسمه:

- ايوه يحطوهم في سجن واحد تبع الجامعة العربية ومعاهم القذافي وعلي صالح. بس المصيبة القذافي مجنون وحياكل الأكل كله ويمكن كمان يصرخ فيهم علي المدفع من أنتم؟

انطلق يضحك بلا توقف فقالت:

- أيوة كده اضحك وانبسط. رمضان كريم يامحمد ياحبيبي. ربنا ما يحرمني من روحك الجميلة الحساسة دي. من زمان باقول لك دا مش زمنك يامحمد. انت كنت عايز زمن أحسن من كده..أدخل يا حبيبي المطبخ معايا. فاضل ساعة علي المدفع والضيوف قربوا يوصلوا. واحمد ربنا إنك ما طلعتش رئيس جمهورية!

فاطر رمضان

رغم إنه فاطر رمضان إلا أنه لا يظهر ذلك أمام الناس. يقول لنفسه دائما إذا بليتم فاستتروا. حتي في البيت لم يكن يحب أن يأكل شيئا أثناء النهار أمام زوجته وأولاده، رغم إنهم يعرفون جميعا إنه فاطر. لقد جرب أن يصوم مرة فانخفض ضغطه بشدة وكاد يسقط علي الأرض وهويمسك برأسه الذي يكاد ينفجر، لولا أن زوجته لحقت به وأعطته أكثر من كوب من مشروب قمر الدين يشربه. كانت هذه المرة الوحيدة التي تناول فيها شيئا بالنهار أمام أسرته. بعد ذلك كانت تعطيه شيئا من الطعام حين ينفرد في إحدي الغرف ويكون الاولاد منشغلين بالتليفزيون، أو يكونوا في الخارج. ولما جاء رمضان في الصيف هذا العام ذهبوا جميعا الي المصيف. ذهب معهم إسبوعا وعاد وظلوا هم هناك فهم في الاجازة الصيفية للمدارس. إذن سيأكل في أي وقت يشاء. الأفضل أن يعود إلي طبيعته. يتناول في الصباح كوب الشاي بالحليب وساندوتش جبن صغير. فعل ذلك وعند موعد الغداء وجد نفسه غير جائع. بل وجد نفسه ينتظر مدفع الإفطار ليأكل. إذن صار أسير العادة رغم إنه فاطر للشهر. ثم أحس بفراغ كبير حوله. كيف حقا ترك الأولاد وعاد ليكون وحيدا في الشهر الكريم الذي هو شهر اللمة العائلية. لم يكن ممكنا أن يترك عمله أكثر من إسبوع ويظل معهم. وهم بالطبع لاذنب لهم في حر القاهرة. إذن فليخرج من البيت. يذهب إلي إحدي المطاعم أو المقاهي. كان يعرف إنه لن يجد مطعما يقدم له طعاما

قبل الإفطار. لكن هناك بعض المقاهي تعمل في نهار رمضان.، وبالذات في «نص البلد». وهو لا يسكن بعيدا عن «نص البلد».

كانت الساعة قد دخلت في الرابعة. إرتدي ملابسه وترك الشقة وحمله تاكسي إلي ميدان طلعت حرب. مشي فيه علّه يجد مقهي مفتوحا في نهايته. تذكر إنه كثيرا ما يشتري للبيت أسماكا من الجمعية التعاونية القريبة من منتصف شارع صبرى ابو علم. وتذكر أن خلفها عددا من المقاهي بعيدا عن الشارع العام، وقد تكون إحداها مفتوحة. وكما توقع بالضبط وجد أكثر من مقهي في الزقاق الواقع خلف الجمعية التعاونية مفتوحا. بل وجد مطعما يبيع الساندوتشات، لكن تاقت نفسه إلي السمك. إشتري من الجمعية ربع كيلو جمبري وطبق أرز، واشتري من امرأة تجلس علي الرصيف رغيف خبز واحد ودخل إحدي المقاهي ليأكل ويشرب.

لم يكن بداخل المقهي الصغير غيره. الكل أمامها وكان جوار الباب رجل أربعيني يرتدي قميصا وبنطلونا ويدخن سيجارة ويشرب من الشاي. وجرسونات المقهي ثلاثة. واحد يتحرك بالطلبات وواحد خلف النصبة يعد الطلبات وواحد يكنس الأرض. أمام المقهي يجلس شاب وفتاة أجنبية. هي تدخن الشيشة وهو يدخن السجاير ويحتسي القهوة. علي الناحية الأخري أكثر من شاب وفتاة يدخنون الشيشة ويشربون الشاي والقهوة والعصائر. كان واضحا من أعمارهم إنهم فنانين أو هم بالفن صلة ما.لا أحد ممن حوله يأكل شيئا. هو إذن الذي سيأكل. أحس بالجوع بحق. لكنه تردد. هل يأكل هكذا أمام كل الناس. هو لم يشأ يأكل في بيته وهو وحده. ابتسم. كل الجالسين فاطرين مثله. ربما يشعر

بالخجل من كبر سنه. فهم في النهاية شباب به شيئ من الطيش. ثم إنه يعرف أن مقاهي وسط البلد تمتلئ بالشباب من الكتاب والصحفيين والفنانين. وهؤلاء عادة يخرجون عن النص في بداية حياتهم رغم أنهم قد يكتبون غير ذلك. أجل. لقد قرأ يوما أن ما يكتبه الكتّاب هو نتاج خبرة حياتهم. ولا خبرة مع حياة عادية. وقرأ مرة سيرة أحد الكتاب الكبار الذي اصبح الآن من مفكري الإخوان المسلمين، ووجد في سيرته إنه كان مقبلا علي المعاصي في شبابه حتي هداه الله في الكبر.لكن من قال له أن احدا ممن حوله يهتم بوجوده أو حتي يدرك إنه موجود. فقط هو الرجل الأربعيني الذي وقف ووضع أمامه علي المنضدة طفاية سجاير لأنه رآه يشعل سيجارة. إذن ينتهي من تدخين السيجارة ويأكل.أطفأ السيجارة وهو في منتصفها وفتح كيس الطعام وراح يأكل. أشار الرجل الأربعيني إلي أحد الجرسونات فتقدم إليه بكوب ماء بارد. إنتهي من الطعام وطلب شايا من الجرسون. لاحظ أن رائحة طهو بدأت تنتشر في المقهي. نظر إلي النصبة القريبة فرأي خلفها علي البوتاجاز أواني طعام. إنهم يطهون طعاما هنا رغم أن المقهي ليست مطعما. ثم رأي الذي كان يكنس ينحني جانبا ويجلس أمام ترابيزة وحده يضع فوقها كمية كبيرة من الطماطم والخيار والجرجير ويبدأ في تقطيعها. واضح إنه يعد السلاطة. لمن يفعل ذلك وكل من حوله يشرب شيئا أو يدخن؟ الجرسون الذي يعد السلاطة يضع سيجارة في فمه، والذي يقف خلف النصبة يتابع الطهو وسيجارة أيضا في فمه، والرجل الأربعيني طلب قهوة يشربها بعد أن شرب الشاي، والجرسون الذي يتحرك بين الزبائن أيضا في فمه سيجارة.ربما يعدون مائدة رحمن صغيرة في الشارع. جلس

صامتا ورائحة الطعام تزداد. الساعة صارت السادسة. قرر أن لا يعود إلي البيت إلا متاخرا. سيظل هنا حتي بعد الإفطار بساعة، ثم يتحرك إلي بيته ويجلس مع بعض جيرانه في المقهي القريب. لكن الرجل الأربعيني قال له:

- ممكن حضرتك تقعد برة لو احنا حنضايقك.

لم يفهم. إبتسم وقال:

- لا. هنا كويس.

سكت الرجل الأربعيني. تقدم الجرسون وبسرعة أزاح أربع ترابيزات من أماكنها وجعلها صفا واحدا علي يساره. رتب حولها ثمان مقاعد، وفرشها بفرش نظيف. مائدة رحمن لثمانية، وداخل المقهي الصغير أمر غير متوقع! إنتهي الجرسون الثاني من عمل السلاطة ووزعها علي ثلاثة أطباق كبيرة، ثم أسرع بها ووضعها علي الترابيزات. وساعده الجرسون الثاني بجلب زجاجة مشروب قمر الدين، وأخري خروب،ووضعهما فوق الترابيزات، ثم ألحقهما بأكواب وزعها أمام المقاعد. كان صوت القرآن الكريم قد بدأ في التليفزيون الذي أمامه. دقائق وينطلق مدفع الإفطار. وقف الجرسونان أمام زميلهما الثالث الذي راح يغرف الطعام ويعطيهما أطباق الأرز واللحمة والبازيللاء يوزعونها علي الترابيزات. وقف الرجل الأربعيني وتقدم ليجلس علي أحد المقاعد. إنتهي الجرسونات الثلاثة وأقبلوا ليجلسوا بدورهم علي المقاعد. إنضم اليهم أربعة اشخاص آخرين بدا أنهم جرسونات المقهي المجاور.

- إرمي السيجارة بقي المدفع حيضرب.

قال أحدهم لزميله الذي وقف ليضع السيجارة بعد أن أطفاها في

طفاية قريبة. إنطلق مدفع الإفطار فراح الجميع يسمون بالله الرحيم في صمت. يعرف ذلك من تحرك شفاههم. قال له الرجل الأربعيني.

- اتفضل أفطر معانا.

- الحمد لله سبقتكم.

قال ذلك وجلس مندهشا. شمل الصمت الجميع حتى الشباب خارج المقهي، إلامن صوت الشيخ الطبلاوي الجميل يؤذن للمغرب. ومع دعاء الشيخ الشعراوي كانوا يأكلون. بان علي وجوه الجميع الوداعة والرضا والراحة. بدوا له وقد صاموا الدهر من قبل. تماما كما يحدث معه كل يوم بين أسرته رغم إنه مثلهم لا يصوم.

على الطريق

كان يسرع بسيارته علي الطريق الصحراوي ليصل إلي القاهرة قبل مدفع الإفطار. في منتصف الطريق سمع صوت انفجار العجلة الأمامية اليمني، فكادت تخرج به السيارة التي جنحت إلي يمين الطريق علي الرمال غير المستوية. كان يمكن أن تنقلب السيارة لولا أنه في هذه اللحظات بالذات كان قد خفّض من سرعته، فصارت تحت المائة بعد أن كانت وصلت الي مائة وعشرين كيلو مترا في الساعة. بسرعة غيّر العجلة، لكن العجلة. الجديدة لم تكن منتفخة كما يجب، فتوقف مرة أخري في محل تصليح كاوتش علي الطريق، وضبط هواء العجل كله. أدرك أنه لن يصل عند الإفطار فلم يعد يهتم. فكر إنه ربما يستطيع الإسراع أكثر ساعة الافطار، حيث تقريبا لن تكون هناك سيارات في الطريق، وفي كل الأحوال سيصل الي شقته في القاهرة وأسرته بعد لم تنته من طعامها. أسلم روحه للأغنيات التي تنساب من راديو السيارة، ثم إلي القرآن الكريم، ثم إلي صوت الآذان وكان قد تجاوز ثلثي الطريق، الذي صار بالفعل خاليا من السيارات، وخيم عليه الفراغ والصمت. في لحظة اندفع شخص لا يعرف من أين ظهر، ولا كيف، يعبر الطريق أمامه. داس بقوة علي فرامل السيارة، وتشبث في المقود بيديه، وانحرف بالسيارة إلي اليمين أكثر، لكن الشخص كان قد تردد في الاندفاع، وعاد إلي الوراء وكأنما يضع نفسه أمام العربة. صدمته بقوة ألقت به لثلاثة أمتار أمامها. توقف هو بعد أن تجاوزه وخرج بالفعل بالسيارة

إلي الرمال. عاد الي الرجل بسرعة. صرخ من هول الصدمة. الرجل صار مزيجا من الدم لا يعرف ماذا أصيب فيه. شيئ أحمر كله ممدد علي الأرض. ماذا سيفعل الآن؟ لم يفكر كثيرا.رأي الطريق يمتد علي الناحيتين خاليا، فدخل سيارته وعاد بها إلي الطريق بسرعة، واستمر في الاتجاه الي القاهرة.عند البوابة اضطرب قلبه. ما الذي يمنع أن يكون إكصدام السيارة ملوثا بالدم؟. لكن لم يكن ممكنا الآن النزول والتثبت من ذلك. وبالطبع لم يكن ممكنا العودة فلا طريق يعرفه لدخول القاهرة غير بوابة الرسوم. لكن أحدا عند البوابة لم ينظر إلي السيارة. خرج منها واستمر في طريقه. لابد أن يغسلها بالماء والصابون لإخفاء أي أثر حتي لو لم يكن ظاهرا. سيغسلها بنفسه أمام بيته، ولن يسمح حتي للبواب أن يفعل ذلك. بل سيرسل البواب يشتري شيئا من مكان بعيد.

كان قبل ذلك قد اتصل بزوجته بالموبايل يخبرها إنه سيتأخر و قد يلحق بهم في الإفطار، وهي الآن تطلبه في الموبايل ولا يرد.لا ينتبه إليه في الحقيقة. لقد قتل نفسا فماذا يمكن أن يحدث له الآن؟ وهل سينكشف أمره؟ لابد أن صحف الصباح ستخرج تتكلم عن الذي صدمته سيارة فمات وتركه صاحب السيارة وهرب. لن يشتري الصحف لعدة أيام. هذا هو الحل. لن يخرج من بيته ولن يذهب إلي العمل. سيمضي الأيام القادمة يقرأ القرآن لتهدأ نفسه.

مرّ يوم وثان وثالث وضاق بجلوسه في البيت. زوجته تسأله لماذا هذه الإجازة المفاجئة من العمل. يقول لها تعبت في الاسكندرية، وهي تندهش من هذا التعب الذي يتحدث عنه، فلقد ذهب يودّع وفدا سياحيا سيعود إلي أوربا عن طريق البحر. كان قد تعود أن يشتري

الصحف كل يوم، فلم يعد بشتريها. لكن زوجته كانت تشتريها له في طريق عودهما، وهو لم يستطع أن يقول لها أن لا تفعل ذلك. حاول أن يبدو طبيعيا بل ويقبّلها كلما عادت. لكنه بالليل بعد أن تنام، كان يخرج الي الصالة ويجلس ويقرأ الصحف التي تشتريها. لم يجد في أي منها إشارة إلي الحادثة. تنفس بارتياح وتشجع علي القراءة في الأيام التالية، ولم يجد أيضا أي إشارة للحادثة. قرر في اليوم الخامس أن يذهب الي عمله. في مكتبه بالشركة السياحية الكبيرة دخل عليه أحد الضباط. رآه فقام يستقبله مندهشا. قال الضابط:

- حضرتك رجعت من خمس أيام من الإسكندرية؟

- أيوة.

قال ذلك باضطراب فقال الضابط:

- حضرتك قلت للمدام انك مكن تلحقهم في الفطار؟

إرتبك أكثر فاستمر الضابط:

- وحضرتك وصلت بعد نص ساعة من المدفع، والمدام كانت مستنياك تاكل معاك. الولد والبنت بس اللي كلوا؟

- أيوة. ليه الأسئلة دي كلها؟

- حضرتك ما أكلتش مع المدام وكذبت عليها وقلت لهاكلت ساندوتش وشبعت في السكة؟

لم يرد.

- حضرتك اللي أخرك إنك عملت حادثة وقتلت واحد؟

لم يرد.

- والسكان شافوك بتغسل العربية بنفسك علشان تمحي أي أثر

للحادثة؟

لم يرد.

- حضرتك ما شفتش الدم اللي نزل مع المية؟

- لا شفته ومن ساعتها عارف أن حد حيبلغ فيا.

- حضرتك تشرف معايا علي القسم.

قام ومشي جوار الضابط.خرج إلي الصالة التي يجلس فيها أربعة من الموظفين، وقال لهم وهو يشير الي الضابط بجواره:

- أنا مضطر أروح القسم مع حضرة الظابط. ياريت تبلغوا المدام في البيت.

راحوا ينظرون إلي بعضهم في دهشة. قال أحدهم بعد أن خرج ولم يعد أمامهم:

- ظابط مين اللي خارج معاه. حد منكم شاف ظابط؟

قال آخر وهويهز رأسه:

- لا.

قال ثالث:

- أحمد بيه بيخرف من الصيام. أمّال لما نوصل لآخر رمضان حيعمل إيه؟

مانشيت

طلبت منه حوارا صحفيا عن كتابه الجديد. كانت المشكلة في الوقت، فالشهر رمضان والجو صيف شديد الحرارة ومن ثم هو لا يحب الخروج نهارا. هي تريد صورا جديدة له بالنهار في الشارع بين الناس. هكذا طلبت منها الجريدة. وهو فاطر لأسباب صحية لكنه يقضي النهار علي المشروبات،ويفطر دائما مع الصائمين. أعطاها موعدا في يوم سيفطر فيه خارج المنزل.

- إيه رايك الساعة تلاتة في الزمالك؟

- مناسب جدا. حاجيب المصور معايا.

قابلها ومعها المصور الشاب. التقط له المصور بعض الصور في الشارع وفي اتحاد الكتاب، وحين قررا بدء الحوار قال:

- للأسف أنا فاطر. وإذا لم اشرب شيئا الآن سينخفض ضغطي بطريقة كبيرة. إيه رايك نقعد في كافتريا ونتكلم؟

قالت:

- لكن أنا صايمة.

- لا مشكلة. يكفي أن أطلب أنا شيئا أشربه.

قال المصور بسرعة:

- انا كمان صايم لكن تعبان. ممكن اشرب أنا كمان.

كانت مهمته قد انتهت. لكن هكذا تحدث.ومن ثم ذهب الثلاثة إلي كافتريا قريبة صغيرة يغلب عليها الطابع الإيطالي. طلب هو كابتشينو،

لكن المصور تراجع ولم يطلب شيئا وظل علي صيامه.

هي جميلة. طفولية الحديث والحركة. في حوالي الثانية والعشرين من عمرها، والمصور يبدو شاردا. نحيل وأسمرشفتاه مزمومتان طول الوقت، وعلي وجهه علامات ارتباك كبيرة،ويبدو قد اقترب من الثلاثين.

بدأت تساله عن كتابه الجديد وتسجل الحوار في الموبايل. الثلاثة حول المنضدة. فجأة وضع المصور رأسه علي المنضدة بعد أن أنكفا عليها. لم يبد أنها مهتمة. هو تصوره متعبا من الحر والصيام، خاصة أن الساعة تدخل في الرابعة، ونهار الصيف طويل. كان هو يجيب بحماس علي الأسئلة، فالبنت تتسع عيناها أثناء السؤال بشكل مثير،ولا ينتبه إلي المصور الذي نام نوما عميقا، لكن لاصوت يصدر منه. لا نفس. إنتبه إلي ذلك في منتصف الحوار. نظر إليها وقال:

- ماله؟

- مش عارفة.

قالت ذلك بلامبالاة.

- إسمه إيه؟

- أحمد.

- يا احمد. أحمد.

لكن أحمد لا يسمع.

- دا ما فيش حتي نفس طالع منه.

- ما تخافش. نكمل الجوار.

لكنه لم يستطع. راح يهز أحمد من كتفه وأحمد لا يستجيب.

- يانهار اسود ليكون مات!

ابتسمت وقالت:

– ما تخافش. مش حيموت ولا حاجة.

صاحب المقهي أو مديرها الذي يجلس قريبا، إنتبه إلي الموقف فوقف. إقترب من أحمد ووضع يده علي رأسه.

– رأسه سخن جدا. دا ضغطه واطي كتير. أنا حاجيب دكتور من الأجزخانة اللي جنبنا.

ارتبك هو أكثر، وهز أحمد بقوة، بينما خرج صاحب الكافتريا مسرعا. فتح أحمد عينيه وبدا متألما وسيفقد الوعي من جديد.

– مية بسكر وعصير أي فاكهة حلو جدا من فضلك.

قال ذلك بسرعة لأحد الجرسونات الذي وقف يتابع المشهد. بسرعة أحضر الجرسون المطلوب ووضعه علي المنضدة، ثم راح يدفع بكرسي أحمد إلي الحائط، ثم وضع تحت ساقيه كرسيا آخر بحيث يكون في وضع أقرب إلي النوم.راح هو يسقي أحمد العصير وهي لا تتحرك من مكانها ولا تهتم. عاد صاحب المقهي يحمل كيسا صغيرا من البلاستيك مغلقا وقال.

– مالقتش الدكتور لكن عطوني الغاز ده يشم فيه.

وقرب الكيس المغلق من فم أحمد بعد أن فتحه قليلا، وبدأ أحمد يعود إلي وعيه.قال هو:

– ننتهي من الحوار بسرعة حتي يعود إلي بيته. سأحضر له تاكسي يحمله.

– وهو كذلك.

قالت ذلك مبتسمة مما ادهشه جدا.

راح يجيب علي أسئلتها بسرعة، وأحمد عاد إلي النوم من جديد،ثم انتفض ممسكا ببطنه.

- مالك؟

- المشكلة في معدتي.عايز أرجّع.

قال احمد ذلك بصوت متعب،وبدا يقاوم القيئ. أمرها أن تشتري شيئا من الصيدلية يمنع القيئ. ترددت قليلا.

- بسرعة الله يخليكي.

قامت علي مهل وهي تهز رأسها وتزم شفتيها. خرجت وعادت بسرعة معها شريطا من الحبوب. قدم واحدة لأحمد الذي رفض وقال:

- كملوا الحوار. مافيش مشكلة.

- انت كويس؟

- الحمد لله بس أنا لازم أروح.

- طيب انتظر أجيب لك تاكسي.

- لا أنا معايا عربيتي.

- حتعرف تسوق؟

- إن شاء الله.

وتركهم وخرج مسرعا علي غير ما كان يبدو عليه من تعب. إرتبك هو ولم يعرف بما يعلّق. كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة ولم يبق علي الإفطار غير ساعة.

-هل نكمل الحوار؟ أعتقد إنك ستتأخرين علي البيت.

قالت فجاة في حيرة وضيق:

- مش عارفة أعمل إيه؟

– في إيه؟
– فيه. أحمد ده. عمل كده امبارح والإسبوع اللي فات.
– هل يرفض دائما العلاج؟
– لا. هو مش عيان. هو زعلان مني.
لم يصدق واندهش جدا. قال:
– إزاي؟
– عايز يجوزني. وأنا مش عايزة.
لم يستطع أن يسيطر علي نفسه. إنطلق يضحك.
– عاشق يعني.
– مش فاهمة.
استمر يضحك ويقول:
– ياالله. لقد تغيرت أحوال العشاق. من السهر والبكاء الي القيئ والإغماء.
وهي خفضت رأسها وراحت تضحك بلا صوت.
– طيب ليه بتجيبيه يصور معاكي. مافيش مصورين في الجريدة غيره؟
– فيه طبعا لكن دايما يختاروه معايا.
سكت قليلا وقال:
– وليه صحيح ما تتجوزيهوش مادام بيحبك كده؟
ابتسمت وتألقت عيناها الواسعتان وقالت:
– أنا مش مصدقاه. مش قادرة اصدقه.
– تعرفي أنا خايف يكون مريض فعلا.

- لا . مش مريض ولا حاجة.

- لو جري له حاجة كنا حنبقي مانشيت الصحف بكرة. وفاة مصور الجريدة وهو يصور الكاتب الكبير.لكن الحمد لله.

- ما تشغلش بالك. خلينا نكمل الحوار.

ودخل شاب إلي الكافتريا مسرعا يقول:

- فيه شاب أغمي عليه برة علي الرصيف. بيقولوا إنه كان طالع من هنا. حد يعرفه؟

من زمن الحب والحرب

- ياه. معقول!

قالت هدي لنفسها ذلك في دهشة، فقالت إبنتها شيماء:

- فيه إيه ياماما. إيه الي بيخليكي تستغربي كده؟

- لا أبدا.

قالت هدي ذلك وتركت الغرفة وخرجت إلي الصالة.جلست وحدها تنظر إلي المظروف القديم. إنها لا تنسي ذلك اليوم.عندما دق ساعي البريد الباب كانت الساعة الثانية عشر صباحا. استلمت منه الرسالة وأغلقت الباب، ثم دارت حول نفسها فرحة والرسالة علي فمها تقبلها. لم تنتبه إلي أمها في الصالة تراقبها في دهشة.

- حازم يا ما ما. حازم بخير. بعت لي رسالة.

- الحمد لله. يارب يرجع بالسلامة هو وكل اللي زيه. يارب انصر مصر يارب.

جرت هدي بالرسالة إلي حجرتها وفتحت الرسالة وراحت تقرأ في سعادة:

« حبيبتي هدي. أنا بخير. واحشاني خالص. كلكم واحشني، طمني ماما إن أنا أول ما حارجع حنتجوز علي طول. أيوة. اليهود اللي عطلوا جوازنا خمس سنين حيرحلوا عن سينا بإذن الله. وبعد سينا ما تتحرر يبقي مافيش أي حجة لتأخير الزواج. أنا متهيألي ناس كتير حتتجوز. يعني مش احنا بس. أنا باكتب لك الجواب ده وانا في خندق ومعايا

زميلي أشرف. أشرف معايا في كل مهمة. من إسبوع هاجمتنا طيارات مستير. نوع قديم استخدمته فرنسا في العدوان الثلاثي علينا، وعملت بيه غارات علي اسكندرية. قلنا أمّال فين الفانتوم. إسرائيل ما بقاش عندها طيران والا إيه؟ طبعا ما حصلش خساير عندنا. كنا يوم ١٨ اكتوبر. يوم ١٩ هاجمتنا عشرين دبابة. أسرناها كلها. آه والله. عارفة ازاي. زميلنا أحمد الصعيدي لف نفسه بالديناميت، ورمي نفسه تحت أول دبابة. إنفجر فيها الديناميت واتعطلت. فوجئنا بباقي الدبابات بتفتح أبوابها من فوق ومن تحت، ويطلع منها الجنود رافعين إيديهم. استشهد أحمد وأسرنا عشرين دبابة بجنودها. يوم ٢١ و٢٢ اشتركت في مهمة خلف خطوط العدو ومعايا أشرف كالعادة. أشعلنا الحرائق في المناطق الإدارية. كنا سبعة. رجعنا عشرة. استشهد منا اتنين إإ مش عارف ليه الإذاعة المصرية مش بتذيع كل البطولات. يمكن علشان مش عايزين الناس تفتكر أيام ٦٧ لما كانت الأذاعة بتذيع بيانات كتير وكلها كذب.يمكن خايفين كتر إذاعة الانتصارات يشكك الناس فيها. زي بعضه. إحنا حنرجع ونحكي كل حاجة. حبيبتي هدي. ما تقلقوش علينا. اسهروا وانبسطوا. دا مافيش أحلي من رمضان في اسكندرية. افتكريني عند سيدي المرسي أبو العباس. وأوعدك لما أرجع وتتحرر سيناء نعمل كتب كتابنا فيه.سلمي علي بابا وماما ونادر أخوكي، وقولي له لازم اشوفه في يوم نجم كورة في نادي الاتحاد. وكمان سلمي علي مامي وباباي واخواتي».

«حازم.»

« ليل ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣»

«شمال سيناء»

تذكر هدي الآن كيف ظلت حتي الساعة الرابعة شاردة، وهي تقف مع أمها تساعدها في إعداد الطعام. أمها تضحك فكل ما تفعله هدي،تشرد عن متابعته ويشيط منها علي النار. وإذا فتحت الحنفية تغسل شيئا لا تغلقها. والأم تضحك وتهز رأسها وتنبهها أنهم اليوم سيستقبلون والد وأم حازم علي الإفطار. في النهاية قالت لها أن تترك المطبخ وتجلس في حجرتها تقرأ وتعيد في قراءة الرسالة حتي تحفظها، ذلك أفضل من إرباكها «وبوظان» الطعام.

كانت الليلة هي ليلة رؤية العيد الصغير. الرابع من نوفمبر. ولقد قررت الأسرتان أن يمضياها معا بعد الإفطار. كان أبو هدي بعد أن عاد من عمله قد نام قليلا، واستيقظ وجلس في الصالة يقرا القرآن، وينتظر أسرة حازم. أما نادر فقد تعوّد أن يدخل من الباب عندما يدق المدفع. يقترب الوقت ولا تصل أسرة حازم. التليفون لا يعمل. والغايب حجته معاه كما يقول أبو هدي. بدأت علامات الخوف تظهر علي وجه هدي. وضعت الأم الطعام علي السفرة، وجلست مع زوجها وهدي تجلس معهما شاردة صامتة. دخل نادر قبل أن يدق مدفع الإفطار بدقائق. بدا متجهما. قال الأب:

– مش عوايدك. إحنا ظابطين المدفع عليك.

تصنّع نادر الابتسام وقال:

– صحيح.. ساعتي مقدمة شوية.

ودخل إلي غرفته وانخرط في البكاء.

حين تأخرت عودة هدي إلي غرفتها جاءت إبنتها شيماء الي الصالة. رأتها تمسك بالرسالة في يدها تتأملها في شرود عميق.أخذت منها المظروف وتأملته:

– إيه الجواب دا ياماما. دا قديم أوي؟

ثم راحت تتأمل الأختام البريدية القديمة.

– دا من سنة ١٩٧٣ بس مش باين اليوم ولا الشهر. منين الجواب ده ياماما؟

أخذته هدي منها وابتسمت ابتسامة صغيرة وقالت:

– دنيا ياشيماء يا حبيبتي. كان يمكن يكون من بابا. بس ربنا ما أرادش.

تعجبت شيماء وقالت ضاحكة:

– قصة حب بأه!

– تقدري تقولي كده.

– علشان كده شايلة الجواب كل السنين دي؟

– بالعكس. أنا نسيته. أنا اتجوزت وسبت بيت ماما وبابا. ومش عارفة ازاي جه معايا، وفضل السنين دي كلها وماشفتوش إلا النهاردة، وانا باقلب في علبة المصحف الخشب بتاعة ماما الله يرحمها. يبقي ماما اللي احتفظت بيه بعيد عني. صح.

فكرت شيماء قليلا وقالت:

– علشان كده ياست ماما حضرتك أصريتي تاخدي علبة المصحف دي من خالو نادر بعد تيتة ما توفت السنة اللي فاتت.

– ما كنتش اعرف ياشيماء إنه فيها. أنا بس باحبها علشان ماما

وارثاها من جدو وكان عاملها بصدف ونحاس وريحة خشب الورد لسة فيها. أيوة فيها درج سري رفيع بس عمري ما فكرت افتحه غير النهاردة. كنت دايما أقول حيكون فيه إيه يعني؟

– قلب المؤمن دليله ياست ماما. ولا أقول لك قلب العاشق دليله.

سكتت هدي قليلا وقالت في ثقة:

– تعرفي مين أكتر واحد حيفرح بالجواب ده؟

– مين؟

– بابا. بابا أشرف كان مع المرحوم في الحرب، والمرحوم استشهد بين إيديه.

– ماما. ماينفعش تعملي كده.

قالت الام في ثقة:

– ما تخافيش.أنا لو كان جالي عريس تاني غير أشرف ما كنتش اجوزت أبدا.

مع مراعاة فروق التوقيت!!

الزقاق لا يزيد عرضه عن أربعة أمتار، والبيوت كلها ستة أدوار وأحيانا سبعة، والجميع في الزقاق يشعرون الهم يعيشون في مغارة واحدة. فالذي ينام إذا شخر سمعه من في البيت المقابل، والذي يرتفع صوته قليلا يسمعه أيضا من هو أمامه. والنساء تعودن أن ينشرن الغسيل في وقت متأخر حتي لا يراهن رجال قد يقفون في البلكونة. ورغم تأخر الوقت كانت المرأة تخفي نفسها تماما وأحيانا وجهها. لكن الجميع تعودوا علي أصواقم وأفعالهم، ولم يعد الزحام يسبب مشكلة لأحد، حتي سكنت إحدي الشقق عائلة جديدة. شاب في حوالي الثلاثين يعمل بائعا في محل سمك، وزوجته الشابة التي لاتعمل في شيئ. صار واضحا للجميع أن هذا الشاب لا يتكلم مع أحد،وكذلك كانت زوجته. كانوا كثيرا ما يسمعون ضربه لها في أنصاف الليالي. صراخها الذي لا يلبث أن يهدأ فيصبح أقرب للنشيج. قديداته أن لا ترفع صوقا. صار هذا يحدث مرة أو مرتين في الأسبوع. أكثر من شخص فكر أن يتحدث معه في ذلك، لكنه لم يكن يقف ليستمع إلي أحد. أكثر من زوجة فكرت تتحدث مع الزوجة المسكينة، لكن الزوجة لم تكن تفتح الباب لأحد. صار السؤال الذي يشغل الكثيرين، كيف تتحمل هذه الزوجة، وكيف لم يظهر أحد من أهلها مرة ليفعل شيئا مع هذا الزوج القاسي. لكن في النهاية تعود الجميع علي العلقة التي تأخذها الزوجة أكثر من مرة في الإسبوع.

مع حلول شهر رمضان دعا الكثيرون لهذه الأسرة بالهداية. ومع انطلاق

مدفع الإفطار ارتفع صوت الزوجة تصرخ، وارتفع صوته يهددها أن تسكت.وكانت ضرباته لها مسموعة فكان فيما يبدو يستخدم خيزرانة أو كرباج.

كانت الصرخات الأولي للزوجة قوية ثم ماتلبث أن تتراجع، لكن كان الفزع يملأ كل البيوت مع الضربات. بعض النسوة تقلن «حرام... حديعمل كده» وبعض الرجال يقولون لهن «علشان تعرفوا النعمة اللي انتم فيها».

تكرر الأمر كل يوم ساعة الإفطار حتي ضجت النساء. قالت بعضهن « مش عارفين ناكل. كده بنتسمم في الأكل « وبعضهن قلن حبك ساعة الفطار. ماكان بيضربها في نص الليل ضربة في بطنه» وبدأ بعض الرجال يضيق بالمسألة، خاصة إنها ساعة هدوء وراحة نفسية، وإقبال علي الصلاة ومكافاة للصائم لا يجب أن يفسدها هذا المجنون. كما أن أسئلة الاطفال والأولاد كثرت عما يفعله هذا الرجل بزوجته كل يوم.

صعدت ثلاث سيدات إلي الشقة بالنهار، وطلبن من الزوجة أن تفتح لهن، لأنهن لن يتحركن من أمام الباب. فتحت الزوجة الشابة فوجدنها جميلة. لا يبدو علي وجهها آثار ضرب لكن تبدو حزينة مكسورة الخاطر. قالت لهن أهلا وسهلا، وما أن جلسن حتي بكت:

– يا حبيبتي..إنتي إيه اللي زنقك علي الحيوان ده؟

لا ترد.

– انتي مالكيش أهل يدافعوا عنك؟

لا ترد.

- سبحان ربي العظيم كل الجمال ده وينهان كده كل يوم.

- قسمتي ونصيبي.

ردت في انكسار وأردفت:

- أبويا وأمي ميتين وأخويا مراته مش طايقاني. وهو في النهاية جوزي.

- عندكم أولاد؟.

- لا.

- انتي السبب؟

- ربنا.

- يعني انتي؟.

- هو.

- وكمان بيضربك دا ابن كلب وسخ.

هكذا انفعلت إحدي النساء.ووقفت وقالت:

- وديني إن ماربيته مابقاش أنا فوقية بنت أمي وأبويا.

تركت النساء الزوجة المكلومة، وجلست فوقية مع زوجها حسني القهوجي، وحكت له القصة وقالت:

- لازم انت والرجالة ترنوه علقة ما يحلمش بيها. البنت زي القمر ابن الكلب وساقيها السم.أنا مش حاقعد في البيت دا إذا ما منعتش الراجل ده من ضربها.

تناقش حسني مع أكثر من واحد في الشارع. وانضم اليهم شيخ الزاوية التي يصلون فيها. انتظروا الزوج الذي تعود بعد أن يضرب زوجته ساعة الإفطار، أن يخرج بعد أن تكون الأصوات قد انقطعت

وتناول إفطاره أيضا!. ذهبوا وراءه إلي المقهي التي يسهر فيها.فجأة رآهم يقفون حوله ويسحبون مقاعد ويجلسون. حدثه الشيخ في أمر ضرب الزوجات فهو مكروه فقال له:

– انا باضربها حسب الشرع، وكمان في أماكن ماتعورش يعني ولا تسبب عاهة. باضربها بالكرباج ضرب خفيف.ولا مؤاخذة في حتت يعني تستحمل.

انفعل حسني القهوجي وقال:

– هو فيه ضرب شرعي وضرب غير شرعي. اللي بيضرب ممكن يفقد أعصابه ويموت اللي قدامه.

– لكن أنا عارف باعمل إيه.غلطان ياشيخ؟

تردد الشيخ قليلا وقال:

– يابني أنت بتضربها كل يوم ومش معقول بتغلط فيك مثلا كل يوم.

وقال حسني:

– كنت بتضربها في نصاص الليالي وسكتنا رغم إنك كنت بتفزع العيال. دلوقتي بتضربها علي الفطار. يعني مسمم فطار الزقاق كله.عليا النعمة لو ما بطلتش لأكون مفرج عليك خلق الله. قوموا بينا ياجماعة دا مافيش فايدة فيه.

ووقف ثم نظر إليه بحده وقال:

– انا حذرتك. لو سمعتك ساعة الفطار بكرة بتضربها أنا حافطر بيك. يا أخي دي أحسن ساعة عند ربنا.

وانصرف وتبعه الآخرون. فرحت فوقية جدا بما فعله زوجها وفرحت

النساء. في اليوم الثاني قبل موعد الافطار بساعة ارتفع صراخ الزوجة المسكينة وزوجها يضربها بقوة وصوته يرتفع يشتمها. جن حسني القهوجي الذي صعد إليه مسرعا مع جيران الأدوار السفلي، وطرقوا الباب بقوة، ففتح لهم غاضبا والكرباج في يده، والزوجة جالسة بعيدا علي الانتريه تبكي في عمق وحسرة. صرخ فيهم:

– جايين تضربوني في بيتي. أنا حر في مراتي. قولتولي ما تضربهاش ساعة الفطار ضربتها بدري ساعة. علي مدفع السعودية علشان ترتاحوا. فيها حاجة دي؟.

ولم يدري الجميع كيف انهالوا عليه ضربا في وقت واحد حتي كاد يموت بينهم.

أين الرئيس...

وقف جنود الأمن المركزي في الطريق من قصر العروبة الي كوبري إكتوبر إلي ميدان التحرير الذي أحاطو به وأغلقوا مداخله وامتدوا داخل شارع القصر العيني وعلي طول شارع مجلس الشعب.

لقد قرر الرئيس أن يلتقي اليوم بالوزراء في مقر رئاستهم الساعة الثانية ظهرا. سيستغرق اللقاء ساعتين ويعود إلي قصر العروبة في الخامسة علي أقصي تقدير، فتكون هناك ساعة أوأكثر للجميع ان ينصرفوا إلي وحداتهم لتناول الإفطار في ثكناتهم.

منذ الساعة الواحدة منعت الحركة علي طول الطريق وكوبري أكتوبر. القادمون من شارع القصر العيني يغيرون طريقهم إلي المنيرة والسيدة زينب ويتابعون سيرهم في أي طريق آخر بعيدا عن ميدان التحرير. القادمون من الدقي يتجهون إلي العجوزة أو المنيل. طرق كثيرة تنتظر أصحاب السيارات إلا طرقهم المعتادة. كالعادة كانت هناك لعنات لا يسمعها أحد. وترحم علي أيام الرئيس السابق الذي كان يتحرك بالطائرة الهليوكبتر. لكن كل ذلك كان لا يساوي تعب جنود الأمن المركزي والضباط الواقفين تحت الشمس منذ منتصف النهار. طبعا كان من بينهم من هو فاطر رمضان، ولكن من يجرؤ منهم وهم في هذه المهمة أن يشرب الماء أمام زملائه. حتي الأقباط بين الجنود علي قلتهم لا يفعلون ذلك؟ كان هناك فقط ضابط شاب يجلس داخل

سيارة بوكس عند مطلع كوبري إكتوبر، يرفع يده إلي فمه أحيانا فتبدو في رسغه سلسلة ذهبية إذ شمر كميه ليظهر عضلاته المفتولة والعروق فيها،كما كان علي عينيه نظارة ريبان غامقة. كان يشرب عصيرا بين الحين والحين وسائق السيارة الصائم جواره يتلمظ.

مرت الساعة الثانية ولم يمر السيد الرئيس. ومرت الثالثة ولم يمر السيد الرئيس.السادة الوزراء ينتظرونه. رئيس الوزراء ينتظره. يتصل رئيس الوزراء برئيس الديوان الجمهوري ويسأله لماذا تأخر فخامة الرئيس فيقول رئيس الديوان إنه سيتحرك بعد قليل.ومرت الساعة الرابعة ولم يصل السيد الرئيس. سأل رئيس الوزراء من جديد رئيس الديوان.

- هل ألغي الاجتماع؟
- لا طبعا.
- طيب أين فخامة الرئيس. قلت لي إنه سيتحرك.
- في الحقيقة هو نايم.

انتفض رئيس الوزراء وقال:

- نايم. يعني إيه. نمشي؟
- ممكن يصحي ويتحرك.
- طيب حيصحي امتي؟
- ماعرفش. بس المؤكد إنه حيصحي وييجي الاجتماع.

لم يكن جنود الأمن المركزي يعرفون شيئا عن موعد جضور الرئيس، ولا عن سبب مروره، ولا حتي إذا كان الرئيس حقا سيمر أم إبنه أم زوجته أم واحد من الوزراء. هم تعودوا أن يقفوا وليس لهم أن يسألوا. سقط واحد منهم إعياء من الجوع والعطش والحر فحملوه إلي

أقرب عربة من عرباهم ومددوه فيها وتركوه. بعد ساعة أخري إتصل رئيس الديوان برئيس الوزراء، وقال له أن الرئيس استيقظ وسيأخذ طريقه إليهم الآن.ارتبك الوزراء ورئيسهم، ولأننا صرنا نقترب من الساعة الخامسة فكر رئيس الوزراء أن الإجتماع قد يصل هم إلي مدفع الإفطار. في هذه الحالة سيحضر الرئيس إفطاره معهم. بسرعة صدرت الأوامر لمحل أبي شقرة بإسعاف رئاسة الوزراء بطعام يكفي مجلس الوزراء والعاملين فيه والقادمين مع الرئيس.انتشرت إشاعة أن الرئيس سيتناول إفطاره في مجلس الوزراء اليوم. وكان جندي أمن مركزي آخر قد سقط من الإعياء والجوع والعطش، والضابط الشاب لا يزال يفتح علب العصير ويشرب وسائقه يتلمظ. لاحظ الرئيس أن سكرتيره رئيس الديوان أكثر من مرة يقترب منه ويكاد يتكلم، لكنه لا يتكلم، فالرئيس صار فجاة مشغولا بمتابعة حفيده الذي يلعب الأتاري علي الكومبيوتر، الذي خصصت له شاشة كبيرة بعيدة أقرب الي شاشة السينما في الحجم. كان الرئيس مبتهجا جدا ويحاول أن يشترك في اللعب أحيانا.

– ياافندم العساكر بتقع من الجوع والرئيس لسة ما جاش.

هكذا تكلم قائد المهمة عبر تليفونه إلي مدير الأمن فقال له:

– طيب أنا أعمل إيه؟آديكم واقفين لحد ما يعدي. وإوعي تقول لي انك صايم.

في نفس اللحظة سأل الرئيس سكرتيره رئيس الديوان:

– مالك كل شوية داخل عليا وتمشي زي اللي عايز تقول حاجة؟

تردد سكرتيره وفي نفس اللحظة انطلق مدفع الإفطار فقال

السكرتير.

- الإفطار يا فخامة الرئيس.

ابتسم الرئيس وقال وهو يمشي مع حفيده:

- المهم تكونوا عاملين حاجة جديدة النهاردة.

بعد لحظة توقف وقال:

- مش النهاردة كان عندنا اجتماع مع مجلس الوزراء؟

- أيوة يا افندم.

- طيب ليه ما فكرتنيش؟

- فخامتك كنت نايم وبعد ما فخامتك صحيت قعدت مع الحفيد.

- خلاص قول لهم يمشوا. حاجة زي دي ابقي فكرني. أنا مختارك عندك سبعين سنة علشان أنا عديت التمانيين وطبعا بانسي! والا انت كمان كبرت وعجزت؟

شيزوفرينيا ولكن!

كان ما يشغله حين سافر إلي باريس هذه المرة، هو أن الزيارة تأتي مع بداية شهر رمضان. هل يفطر وفقا للوقت في مصر أم في باريس. تذكر حكاية عن المسلمين في النرويج حين يتأخر غروب الشمس أحيانا حتي منتصف الليل، مما دعاهم إلي سؤال أحد الشيوخ الذي أفتي لهم أن يفطروا وفقا لمغيب الشمس في أقرب دولة إسلامية، فراحوا يفطرون وفقا لتوقيت تركيا. الأمر في باريس أسهل، ففرق التوقيت الآن ساعتان لأن في مصر يعتمدون التوقيت الصيفي. الإفطار في مصر الساعة السابعة والنصف. وهي تساوي في باريس الخامسة والنصف. لكنه أدرك أنه لابد أن يفطر علي غروب الشمس في باريس. ماذا يفعل الآن والشمس يتأخر غروبها كثيرا في الصيف. السابعة والنصف ليس موعد المغرب. بل علي الأقل الثامنة والنصف. غروب الشمس وظهورها ليس له علاقة بفروق التوقيت. قرر أن يأكل في السابعة والنصف حتي لو لم تغرب الشمس. هكذا يسّر الشيخ علي المسلمين في النرويج فلماذا يعسّر علي نفسه؟ في الحي اللاتيني سيكتشف ناس من كل الملل. ثم إنه يعرف مطعما يديره ويملكه مصري ربما يجد عنده بعض الاستعدادات ولو قليلة لشهر رمضان. ذهب إلي هذا المطعم يوم وصوله فلم يجد عنده أي استعدادات. هو مطعم لساندوتشات الشاورمة لا أكثر. إلا أن صاحبه قدم له عصير المانجو الموجود دائما مع غيره من العصائر، وضاعف له كمية السلاطة. أما الحلويات فليس أكثر منها في باريس.

يستطيع أن يجلس علي أي مقهي ويطلب منها ما يشاء. لكن لماذا تصوم في باريس حقا؟ الست علي سفر؟ هكذا سأله صاحب المطعم المصري الشاب وبدا يتكلم جادا. لم يشأ أن يقول له أن هذا ليس بالسفر. الرحلة بالطائرة ليست مرهقة إرهاق البعير. ابتسم له وقرر أن لا يأكل عنده في هذه الزيارة.

في اليوم الثاني كانت هناك ندوة في الساعة السابعة. لا يستطيع أن يترك الندوة من أجل الإفطار. ستنتهي في التاسعة وسيتم دعوة الجميع إلي عشاء في مطعم تركي كبير. فليتحمل.يستطيع في السابعة والنصف أن يطلب اي شيئ يشربه حتي تنتهي الندوة فيكون العشاء هو فطوره. واستطاع أن يصمد.

كان العشاء رائعا. كباب وكفته ودجاج وطبعا ما شئت من المشهيات العربية الشامية والتركية، والجلوس علي الأرض المفروشة بالسجاد، وخلف الجالسين وسائد شرقية، وأمامهم طبالي وليس مناضد، وعلي كل طبلية شيشة كبيرة يخرج منها ثلاث ليّات، أي يمكن أن يستخدمها ثلاثة في وقت واحد. وكانت زجاجات الخمر بين الجميع لكنه لم يشرب. كانت هناك راقصة جزائرية شابة قدمت فاصلا من الرقص الشرقي البديع أمامهم وبينهم قبل العشاء. ما أن انتهت حتي اختارت أن تجلس إلي جواره. سألت الجرسون التركي حين اقترب يسألها عما تريد أن تشرب من خمر، هل اللحم حلال؟ تقصد مذبوح علي الطريقة الإسلامية، فقال ضاحكا أنه مسلم واسمه ميميد يعني محمد. ابتسمت واعتذرت عن أي شراب ثم نظرت إليه وسألته:

– لماذا لا تشرب النبيذ؟

– انا مسلم مثلك وصائم أيضا. أتناول افطاري الآن.
قالت.
– أنا أيضا صائمة. العمل كل ليلة يؤخر فطوري لكن اعتبر ذلك ثوابا. اليس كذلك؟
هز رأسه مبتسما ولم يجب فسألته:
– هل أعجبك رقصي؟
– جميل سريع الإيقاع.. لقد أحسست به رقصا جبليا أكثر منه شرقيا.
قالت أنها من منطقة جبلية حقا في الجزائر،وهكذا يكون الرقص هناك ثم سألته:
– هل لو أتيت أجد فرصة للرقص في مصر؟
– أجل. بسرعة. فرقصك سيكون جديدا علي الملاهي الليلية المصرية.
علت البهجة وجهها وسألته:
– أريد ايضا أن التحق بالأزهر.
نظر إليها مندهشا وابتسم وقال:
– ماذا تقولين. الأزهر؟
قالت:
– أجل. أريد أن أدرس علوم القرآن. جدي في الجزائر كان يحب القرآن.
إبتسم مرة أخري وبدا مشفقا عليها إذ أحس بصدق سؤالها.
– صعب. إما الرقص وإما علوم القران!

- لماذا؟ الدراسة ستكون بالنهار والرقص بالليل.

ارتبك جدا ولم يعرف بم يجيب. هل يقول لها مثلا ماذا يعني الرقص في الملاهي الليلية، وما قد يجره من أعمال أخري. قال:

- صعب أن تجمعي بين العملين.

- قلت لك سيكون الرقص ليلا والدراسة بالأزهر نهارا.

أحاط كتفيها بذراعه وضمها اليه. لاحظ أنها صغيرة جدا، وليست كما كانت تبدو وهي ترقص، رغم أنها لم تخلع بدلة الرقص بعد. إلا أن البدلة لم تكن تظهر شيئا كثيرا من ساقيها. ربّت علي كتفها وسألها:

- كم عمرك؟

- اتنين وعشرين. كبيرة؟

- علي العكس صغيرة جدا وربما كان هذا سببا ثانيا. ما رأيك لو أتيتي للعمل في مهنة أخري.

- أنا أعشق الرقص وسأكون نجمة في يوم ما.

قال مشفقا:

- الرقص في الملاهي الليلية في مصر ينتهي عادة مع نور الصباح.

سكتت قليلا وبدا عليها الأسف وقالت:

- خسارة. أنا أسمع عن مصر كتير. بلد حلو.

لم يرد. ابتسمت وقالت:

- استطيع أن أتدبر أمر الوقت.

قال ليحسم الأمر:

- سيطلبون أوراقك في الأزهر، ويجدون إنك راقصة فلا يسمحون لك بالدراسة.

أصابتها دهشة كبيرة وسألته:

-هل الرقص حرام؟

لم يرد. أدرك فجأة كم هي جميلة الوجه والعينين. قال لها:

– غدا ليس عندي شيئ أفعله. أريد أن أتناول الإفطار في مطعم مغربي. هل تصحبيني إلي أحد المطاعم الشهيرة هنا؟ سأعزمك.

قالت:

– في أي فندق أنت؟

– سان جيرمان.

– حلو. سأحضر اليك في السابعة ونذهب إلي المطعم معا. قريب منه جدا. سنذهب علي الأقدام. ونكمل الحديث. فكر معي ربما نجد طريقة. أرجوك.

صورة الديكتاتور

هل حدث ذلك كله لأنه رأي صورة الديكتاتور؟ لا يستطيع أن يقرر بالضبط. كان قد تعود أن يعود إلي بيته في الساعة الأخيرة قبل موعد الإفطار. قبل ذلك تكون كل الطرق مزدحمة. في الساعة الأخيرة لا يبقي إلا القليل من الناس يسرعون في المواصلات الخاصة أو العامة وتتسع لهم الطرق. ورغم أن ذلك كثيرا ما يخيفه بسبب التهور في السرعة، إلا إنه رغم هذا الخوف لم ينقطع عن عادته ودائما ربنا يسلم، خصوصا أن بيته داخل المدينة، ومن ثم لا يحتاج إلي سرعة كبيرة كما يحدث علي الطرق السريعة.

جلس علي المقهي الذي تعود أن يجلس عليه. لكنه اليوم رأي علي جدار المقهي صورة جديدة لحاكم البلاد. صورة كبيرة يبدو فيها وجه الحاكم نضرا قويا لا يوحي بأي انفعال. صدره عريض لكنه مثل حائط صلد أملس بلا أي تعرجات حتي بدت له الجاكت والقميص والكرافتة التي يرتديها شيئا واحدا مع صدره. نظر إلي الصورة وإلي الجالسين في الركن. هؤلاء الفاطرين في رمضان الذين يبدون متخفين حيث لا تفتح المقهي بابها إلا قليلا حتي لا يراهم أحد. هو صائم لكنه زبون قديم للمقهي لذلك يدخلها بلا حرج أن لا يطلب شيئا. يبتسم والجرسون الشاب الصعيدي الأسمر يقول له دائما « حضرتك بتحب تاخد زنوب علي الفاضي. أيوة. بتيجي هنا تقعد وسط الفاطرين وما تطلبش حاجة. اكيد بتتحسب عند ربنا معاهم» يضحك من هذا الحوار الذي يتكرر

منذ سنوات وكل يوم في رمضان ويردف الجرسون دائما:

- يا استاذ افطر علشان يبقي حسابك يوم القيامة علي أصوله بحق وحقيق.

يضحك أيضاً واليوم سأله:

- إيه الصورة دي؟

- بتوع المحافظة ياسيدي وزعوها علينا بمناسبة وصوله لسن التلاتين.

إنطلق يضحك بقوة فقال الجرسون:

- قصدي بمناسبة وصوله في الحكم لتلاتين سنة. مش هما تلاتين برضه. أصل أنا عندي خمسة وعشرين. حضرتك أكيد أدري مني.

ابتسم وجلس قليلا لا يستطيع ان يمنع نفسه من النظر إلي صورة الديكتاتور بين وقت وآخر، ثم وقف خارجا وركب سيارته إلي بيته.

لدهشته وجد الشوارع خالية إلا منه وسيارته. ابتسم مندهشا لا يصدق كل هذا الخلاء والصمت. وللحظة انتبه إلي إنه لا يسمع حتي صوتا لمقرئ للقرآن الكريم من أي مكان. كان الوقت شتاء لكنه رأي الشمس لا تزال عالية في الفضاء. ليس هذا هو الشتاء الذي يعرفه. ضوء الشمس حوله يجعل الفضاء أكثر اتساعا. ورأي علي جانبي الطرق مئات السيارات واقفة جوار الأرصفة. لا أحد في الطريق حوله أو أمامه أو وراءه. هل عاد الناس إلي بيوتهم وتركوه وحده. نظر في ساعة السيارة فوجدها الرابعة والنصف. لا تزال هناك نصف ساعة علي مدفع الافطار. أين اختفي الناس؟. لم تطل دهشته وتوقف تاركا السيارة لينظر حوله فلم يري أحدا. هل هذا طريقه المعتاد إلي البيت حقا؟ مشي

قليلا ونظر خلفه فوجد نفسه قد ابتعد كثيرا عن السيارة. لم يشغله ذلك فهو يعرف أنه تركها أمام بنك شهير. مشي أكثر إلي الأمام وفجاة رأ ي أمامه جدارا يرتفع عن الأرض يغلق الشارع. دعك عينيه ليتاكد مما يري فرأي الجدار الذي ارتفع حقيقة واضحة. هز رأسه ربما يحلم لكنه عاد يري الجدار. ابتسم وأخذ طريقه إلي الخلف عائدا إلي سيارته. مشي قليلا فارتفع أمامه جدار جديد يسد طريق العودة. ما الذي يحدث له أو معه. يتاكد الآن أنه بالفعل قريب جدا من بيته. بل ركن سيارته أمام البيت وليس أمام البنك. هذا الشارع الجانبي يمكن أن يصل به إلي البيت. دخل فيه فرحا وخاصة أن الشارع يبدو خاليا أمامه. أسرع حتي ينتهي منه ويدور إلي بيته، وعند نهاية الشارع قام جدار جديد أكثر ارتفاعا أمامه. خرج الجدار من الأرض في لحظة واحدة ولم تهتز البيوت أو تقع. وقف حائرا يكاد يصرخ. راح ينظر إلي الجدار غير مصدق. كاد يتهاوي علي الأرض لكنه تماسك واستدار ومشي يائسا للحظات والشارع الخالي يمتد أمامه من الناحية الأخري.هذه فرصته الاخيرة فليسرع. أسرع وقبل نهاية الشارع قام من الأرض جدار جديد. تراجع في فزع وتهاوي جالسا علي الرصيف واضعا رأسه بين ذراعيه وفوق ركبتيه. ما يحدث معه ليس حقيقة. هذه هلاوس حقيقية. سوف يجن. لكن الجدار أمامه في كل ناحية. لم تعد هناك حتي بيوت علي الجانبين. صار الآن بين أربع جدران عالية. ولدهشته لم يعد في السماء شمس ولا ضوء. والليل أيضا لم يأت. ماحوله الآ ليس نورا ولا ظلاما. سديم لم يكن قبله زمان ولا بشر. ونظر إلي ساعته فوجدها السادسة. انطلق مدفع الإفطار ولم يسمعه. الآن وكما يحدث كل يوم يكون الناس قد

انتهوا من طعامهم. والموبايل الذي يحمله صامت. نظر فيه فوجده خارج الخدمة. لا يعرف له أحد مكانا الآن وهو الوحيد الذي يعرف أنه كان قريبا من بيته. فجأة اتسعت عيناه علي فكرة. أيكون كل ذلك لأنه رأي صورة الديكتاتور معلقة في المقهي. رفع رأسه فوجد أعلي كل الجدران صور الديكتاتور تنظر إليه ضاحكة.

سيبك منه خليك في حالك!!

سعيد تعود أن يصلي المغرب قبل أن يتناول طعام الإفطار. ينطلق المدفع فيتناول بسرعة كوبا صغيرا من عصير قمر الدين أو أي عصير في المنزل، ثم يخرج الي الجامع المواجه للبيت. يقول أن الإفطار بعد الصلاة له طعم آخر. كان أبوه يفعل ذلك ومنه تعلم هذه العادة.

رأي سعيد شيوخا كثيرين تعاقبوا علي الجامع من أهل المنطقة. كلهم كانوا لا يطيلون الخطبة يوم الجمعة، ولا يطيلون الصلاة في أي وقت. سعيد الآن مثلي في الستين من العمر. دعاني إلي الإفطار عنده في رمضان حين عرف أني مسافر الي القاهرة لقضاء بعض الأعمال. هو أصلا بلدياتي من المحلة الكبري التي تركها الي القاهرة وراء العمل. لا تنقطع زياراتي له حين أزور القاهرة. في رمضان يكون الأمر مختلفا. يكون إلحاحه عليّ لزيارته كبيرا. وفي كل مرة بعد الإفطار نخرج معا الي مقاهي الحسين. في السنوات الأخيرة لم نعد نفعل ذلك. إذا ذهبت اليه أتناول الإفطار معه ومع أسرته، ثم نسهر في الشقة نفسها حتي السحور وننام. هرمنا ولم تعد بنا قدرة علي السهر في الزحام الذي صار لا يطاق في القاهرة. حين ذهبت إليه هذه المرة بعد انقطاع ثلاث سنوات وجدته متعبا. جالس أمام التليفزيون يتفرج بشغف علي برامج الإطفال التي تسبق مدفع الإفطار في بعض القنوات. سألني عن أحوال الأسرة فقلت بخير. وسألته عن صحته فقال إنه يعاني من آلام مزمنة في الظهر ولا يريد إجراء أي عملية. يتحايل علي الآلام بالدهانات والحقن لكنه يرفض

العملية. بعض الإطباء حذروه منها وبعضهم شجعوه عليها وضحك وقال:

- طيب أصدق مين فيهم؟

ضحكنا وكانت ضحكته كما عهدتها منه طول العمر عالية صافية. دخلت زوجته وقالت لي:

- عاجبك كده يا استاذ أحمد. لسة مصمم يصلي في الجامع وضهره بيوجعه. ربنا ادي للمريض رخصة إن شاالله يصلي وهو قاعد، لكن جوزي ما فيش فايدة دماغه ناشفة.

وضحكت وقال هو:

- خلاص خلاص مش رايح. إعملي لنا شاي ولا حاجة.

نظرت الينا مبتسمة فقال:

- آه صحيح لسة ما فطرناش.

ضحكنا وقلت له أن زوجته علي حق ثم سألته:

- لكن للدرجة دي الصلاة في الجامع بتتعبك؟

سكت لحظة وقال:

- الشيخ هو اللي تاعبني.

- أي شيخ؟

- شيخ الجامع. أنا مش فاهم ازاي بيعمل كده.

ابتسمت مندهشا وقلت:

- بيعمل إيه؟

- بقاله سنين كل جمعة يقول «اللهم العن اليهود والنصاري». والمصيبة إن العمارة اللي جنب الجامع تقريبا كلها نصاري.

– حصل مشكلة؟
– لا. عزّلوا من الحتة كلهم.
كدت أضحك لكنه قال:
– كان فيهم ناس عزاز عليّ أوي.لكن مش دي المشكلة.
اندهشت أكثر وسألته:
– فيه أكتر من كده؟
هز راسه وقال:
– يوم الجمعة بيطول في الخطبة أوي ويطول في الصلاة كمان.
– طيب حد يوجهه بس. ينبهه إن فيه ناس تعبانة وخلاص.
– ما بقتش أصلي الجمعة في الجامع ده. الجامع التاني بعيد شوية بس مش مشكلة لسة باقدر امشي.
– طيب كده خلاص. مافيش مشكلة.
– انت عارف اني باحب اصلي المغرب وبعدين ارجع أفطر. أروح جامع بعيد والا قريب؟ طبعا قريب علشان الحق ارجع آكل مع ولادي اللي بيستنوني.
وسكت لحظات ثم قال كأنه يحدث نفسه «ركبني ذنب منه لله»
ابتسمت وقلت:
– حصل إيه.؟
–استحملت الكام يوم اللي فاتو لحد امبارح.
– استحملت إيه؟
– الصلاة وراه طبعا. ياراجل دا بيطول في الركوع. عارف يعني إيه الركوع؟. لو السجود ممكن نتحمل أهي دماغ الواحد علي الارض

وساند علي الارض كمان بايديه، لكن بيطول في الركوع وضهري مكسور!!

وسكت من جديد وبدا في أسف حقيقي، ثم راح يكلم نفسه من جديد:

- ركبني ذنب منه لله.

- حصل إيه بس يا سعيد؟ اتخانقت معاه؟

- ياريت.

- كلمته وغلط فيك؟

- ياريت.

- الله.. طيب حصل إيه ياجدع؟

وعادت زوجته إلينا ضاحكة وقالت:

- إحكي للأستاذ احمد عن اللي حصل. والله ماحصل حاجة وربنا حيغفرلك.

توقعت أن يكون سعيد قد فعل شيئا مضحكا لا شيئا جادا. إبتسمت وسألته:

- بجد عملت إيه؟

- إمبارح طوّل أوي في الركوع وضهري تاعبني جدا ومش سامع بيقول إيه من الالم. كنت حاقع. لاقيت نفسي باقول للي جنبي هو بيقول إيه الراجل بن الكلب ده؟

انطلقت أضحك غير مصدق. وهو بدوره راح يضحك وزوجته لا تزال واقفة تضحك وقالت:

- استني يا استاذ أحمد شوف اللي جنبه قال إيه.

قلت مندهشا:

- اللي جنبك رد عليك؟

نظرّ الي سعيد نظرة طويلة تألقت فيها عيناه، وقال وهويحاول أن يمنع نفسه من الضحك:

- اللي جنبي رد عليا وقال لي سيبك منه خليك في حالك دا راجل ابن..... وشتم الراجل الشيخ.

لم استطع السيطرة علي نفسي من الضحك. وقالت زوجته:

- غلطان هو والنبي كده والا اللي جنبه؟

لكني ظللت أضحك للحظات، وانطلق مدفع الإفطار، فوقف ومد يده سحب المصلية من ركن جوار الحائط وفردها علي الأرض ووقفنا نصلي معا وخرجت زوجته من الغرفة تنتظرنا مع الأولاد في الصالة لتناول الطعام.

سألني:

- تصلي أنت بينا؟

قلت مبتسما:

- لا. حضرتك النهاردة الإمام.

تحيا الشيوعية!!

ليس لأي سبب من احتياج. هكذا طقت الفكرة في رأس طارق المرشد السياحي.طاف بالوفد المكون من عشرة رجال ونساء من روسيا في خان الخليلي وشوارع الحسين. كان يعرف منذ اليوم الأول لمرافقتهم إنهم ليسوا مثل سياح إنجلترا أو فرنسا مثلا. هؤلاء فقراء السياح. لقد انتهي عهد الجمهوريات السوفيتية حقا منذ سنوات، لكن لاتزال الحياة الاجتماعية والاقتصادية يشوبها الفقر قياسا علي دول أوربا الأخري. كان خوفه فقط من جمال النساء. خمس نساء وخمسة رجال. كيف يمكن لهذه النساء الجميلات أن يجلسن علي مائدة رحمن. هل لن يثير جمالهن أحد؟

كان كل أعضاء الوفد لايعرفون لغة غير اللغة الروسية. إذن لن يستطيع أحد أن يخبرهم بالحقيقة. كانوا ينزلون في فندق نجمتان في شارع عرابي، وكانوا دائما مستعدين للمشي أكثر من استخدام التاكسي ويساعدهم أن الجو شتاء. رغم ذلك كانت النساء ترتدي ملابس تكشف عن أذرعهن وأعلي صدورهن وظهورهن. هذه مشكلة أخري. لكنه توكل علي الله وقرر أن يفعل فعلته. قال لهم:

– ما رأيكم ان نؤجل الغداء إلي الساعة الخامسة؟

– لماذا؟

– سأصحبكم الي مائدة مصرية جدا. شعبية ورخيصة. لن يتكلف الفرد أكثر من عشرة دولارات. وستأكلون أكلا مصريا صميما.

- أي أكل؟

- سأشرح لكم كل الأصناف بعد أن نصل الي هناك. لا تقلقوا.

وافقوا سعداء. وانتهت جولتهم في حي الحسين وخان الخليلي. لم يشتروا أشياء لها قيمة. كان يدخل بهم المحلات محرجا ويخفي ضيقه فما يشترونه مهما غالي فيه البائع في ثمنه لن يكون له نصيب- عمولة - لها قيمة. لكن هكذا شاء حظه في الشركة السياحية التي عمل بها. لقد تصور أن معرفته بالروسية ستجعله مميزا. لكن كل الوفود الروسية فقيرة. في الرابعة والنصف قرر أن يذهب بهم إلي مائدة في وسط البلد، بعيدا عن حي الحسين. هم الآن مرهقين ولن ينتبهوا إلي شيئ. حصّل من كل منهم عشرة دولارات ومشي أمامهم في شارع الأزهر. صوت القران الكريم يرتفع حوله من كل مكان. موائد الرحمن تصف تحت كوبري الدراسة. موائد صغيرة لأن أكثر الأماكن تحت الكوبري صارت مشغولة بالسيارات والبضائع. يريد أن يختصر الطريق الآن وليس مهما أن يصل إلي نصف البلد. وبالفعل رأي مائدة يبدو من فرشها إنها أفضل من غيرها. اقترب من أحد المنظمين للمائدة بدا له هو المعلم ووقف يهمس له:

- معايا وفد مسلمين من روسيا، عايزين ياكلوا في مائدة رحمن. عايزين يحسوا برمضان في مصر.

إرتاب الرجل قليلا ثم سأله؟

- يعني هما فقرا أوي كده؟

- انت عارف روسيا يامعلم. الشيوعية ماخلتش حيلتهم حاجة.

قال الرجل مشفقا بحق:

- الله يخرب بيت الشيوعية علي اللي عملها. معقول النسوان الحلوة دي تتبهدل كده؟ بس دول لابسين عريان يبقى صايمين ازاي،وكمان في الشتا همّا ما بيحسوش؟

- معلش يامعلم سلو بلدهم.

هزّ المعلم رأسه ونادي علي أحد الصبيان أن يصفّ أكثر من منضدة أخري لهم. وأن يهتم بكل شيئ، وبالذات نظافة الصحون والملاعق والأكواب.

كان الجالسون في انتظار المدفع من العاملين في المحلات تقريبا. كانوا لا يوحون بفقر كالذي تجده عادة في الموائد الرحمانية. جلس الروس سعداء وبدأ أحد العمال وفتاة صغيرة معه يضعان الطعام أمامهم. كلما حاول أحدهم أن يمد يده يأكل شيئا يقول له طارق بالروسية أن ينتظر حتي يأكل مع الجميع.وأن هذه عادة مصرية في الأماكن الشعبية.قال له أحدهم فجأة:

- مطاعم كتير في الشارع. ما قريناش عنها في الدليل السياحي.

إرتبك طارق وقال بالروسية بعد تردد:

- هي موجودة في دليل عاملاه وزارة الثقافة. وزارة السياحة شغلها مش كويس. دا تراث ثقافي من أيام المماليك.

ابتسمت النساء وهز الرجال رؤوسهم،وكان كل من يجلسون من المصريين لا يرفعون عيونهم عن أجسام السيدات الظاهرة. راح طارق يشرح لهم ماهي المسقعة وماهي الملوخية وماهو المحشي وبالذات ورق العنب وماهو بابا غنوج وماهو العناب والتمر هندي وهم سعداء. انطلق مدفع الإفطار فبدأ الرواد االطبيعيون يأكلون وأشار لهم طارق

بالأكل. راحو بدورهم يأكلون وهويلاحقهم بالكلام عن عبقرية الطهو الشعبي المصري، وكل من كان له ملاحظة أغفلها لانهم جاعو جدا وراحوا يأكلون. انتهت الجلسة علي خير ووقف فوقفوا معه. صافح صاحب المائدة الذي صافح بدوره الوفد قائلا:

– نورتوا مصر. كان نفسي يكون فيه لحمة أكتر من كده.

وهو ترجم لهم الجملة الأولي فقط. فوجئ صاحب المائدة بالنساء تقبله علي خده وانصرف طارق بهم وهتف أحد العاملين:

– أحلي فطار يامعلم.

فقال المعلم:

– علي النعمة هيا دي نعمة ربنا بجد. تحيا مصر وتحيا الشيوعية اللي فقرت الناس الحلوة دي وجابتهم مائدة رحمن.

وكان طارق قد ابتعد بالوفد يضحك.

إفطار في ميدان التحرير

ثلاث فتيات ذهبن للإفطار في ميدان التحرير. أمضين النهار يكتبن الشعارات التي سيهتفن بها. كان أبرزها «لاعسكرية ولا دينية.. مدنية مدنية». نزلن من الميكروباص في موقف عبد المنعم رياض. مشين إلي الميدان تحمل كل منهن حقيبة بلاستيك بها إفطار يكفيها وزيادة. فضلا عن أكثر من زجاجة مياه معدنية صغيرة وأكثر من علبة بيبسي.

– يارب يكون فيه عدد كتيرالجمعة دي.

قالت نجلاء ثم أضافت:

– لأن لو العدد قليل حيضربونا زي الجمعة اللي فاتت.

قالت شيماء:

– إن شاء الله حيكون العدد كتير رغم اللي قعدت تنشره الجرايد عن انسحاب الأحزاب والائتلافات.

قالت مريم:

– كتير قليل. النهاردة ياقاتل يامقتول.

ضحكن واقتربن من الميدان. كانت قوات الشرطة العسكرية تحيط بالصينية التي تتوسطه، وعلي كل طرف من أطرافه البعيدة تقف إحدي الدبابات. المتجمعون يقفون علي الرصيف وجواره، ويقفون أيضا عند الصينية الأصغر.مثلث هو في الحقيقة مرتفع عن الأرض يفصل الطريق إلي شارع رمسيس إلي قسمين. قسم منهما يمكن لمن فيه أن يدور إلي كوبري قصر النيل. كما يقفون أمام مجمع التحرير بعيدا عن الساحة

التي أمامه، والتي يشغلها جنود الأمن المركزي والشرطة العسكرية. وضح لهن أن المجتمعين الذين جاءوا للإفطار لإظهار احتجاجهم علي المحاكمات العسكرية للثوار، سوف يكونون دائما جوار الأرصفة أو عليها، ولن تسمح قوات الشرطة لهم أن يشغلوا الشوارع حتي لاتتعطل حركة السيارات. وبالفعل كانت هناك سيارات لازالت تمر مسرعة. إشارات المرور تقريبا لا يقف عليها أحد من الجنود. جلست شيماء علي حافة المثلث الصغير الذي يقسم الطريق الي شارع رمسيس مع زميلاتها. وجدن كثيرا من الأصدقاء والصديقات. وكثيرا ممن لم يقابلهن من قبل. من يستطيع أن يعرف كل النا س في ميدان التحريرا كانت شيماء تتطلع إلي عساكر الشرطة العسكرية وتندهش. دقائق وينطلق مدفع الإفطار ولا أحد مرّ عليهم بطعام أو شراب. قالت:

– معقول مش حيفطروا!!؟

ردت نجلاء:

– صحيح. دا ما فيش حتي واحد ماسك قزازة مية.

قالت مريم:

– إحنا لازم نعمل حاجة. لازم نديلهم أكل ومية.

ولم تنتظر إجابة. وقفت وهتفت:

– ياجماعة عساكر الشرطة العسكرية واقفين طول النهار والمدفع قرب يضرب وماحدش إداهم لا أكل ولا شرب.

قال أحد الشباب:

– وعساكر الأمن المركزي وحياتك. مع إن يوم ٢٨ يناير وزعوا عليهم وجبات من كنتاكي وقالوا علينا احنا اللي بناكل منها.

.قالت مريم:

– مين يقوم معايا نوزع عليهم أي حاجة؟

قال نفس الشاب:

– توزعي علي مين ولا مين. دا عساكر الشرطة العسكرية وراهم عساكر أمن مركزي مش باينين علشان قاعدين علي الأرض.

– معلش ما ينفعش نفطر وهما واقفين جعانين.

قالت إحدي الفتيات ضاحكة:

– خدوا الصينية وما طبخوش أي حاجة! طيب يسيبوا لنا الصينية ويشوفوا حنأكلهم ازاي!. ضحك الكثيرون. وكان عد كبير منهم قد راح يقدم لمريم وشيماء ونجلاء اللاتي وقفن معها، بعضا من الساندوتشات وزجاجات المياه والبيبسي. وقف معهم الشاب الذي تكلم من قبل، ثم شاب ثاني فثالث،وتوجه الجميع ناحية الجنود،وراحوا يمدون لهم أياديهم بالأكل والماء والبيبسي. لم يتحرك الجنود. لاحظ الشباب إنه لا يوجد ضباط. قالت مريم للجندي أمامها:

– اتفضل. والله أكل بيتي ونضيف. والمية معدنية والبيبس كانز. ماتخافش خالص.

لكن الجندي وقف كما هولا يتحرك. قالت شيماء:

– اتفضلو ا. ولو عايزين برضه تضربونا بعد كده اضربونا مش حنزعل منكم. ابتسم عدد من الجنود وقالت لجلاء:

– عارفين إنها أوامرليكم.

بدا علي الجنود الرغبة في تناول ما يقدمه الشباب، لكن بدا أيضا أن الخوف يكبّلهم، وإذا بواحد منهم يقول هامسا:

- خد ياله. العميد مشي والظباط. أنا حاخد.

ومد يده ففعل الآخرون مثله، ورالحت الفتيات الثلاث ومعهن الشبان الثلاثة يدورون أمام الجنود بالطعام حتي إذا نفد أسرع الشباب إلي الجالسين علي الأرصفة والأرض وأحضروا منهم كميات أخري يعطوها للبنات اللاتي يدرن مع الصينية الواسعة الكبيرة يوزعنه علي الجنود.

إنطلق مدفع الإفطار ولم يكنّ قد أتممن الدوران بعد. وبدا أن الصينية كبيرة لا تنتهي. قام جنود الأمن المركزي الجالسين خلف جنود الشرطة العسكرية وتقدموا يقفون بينهم، والشباب يروح ويجيئ بالطعام، وفي كل مرة يقلّ ما يعودون به إلي الجنود،والفتيات الثلاث يصممن علي الانتهاء من إطعام الجميع حتي إذا عادوا جميعا، البنات والصبيان،الي مكانهم بين المجتمعين، لم يجدوا طعاما باقيا مع أحد. شربوا ما تبقي من المياه والعصائر وجلسوا علي الأرض يضحكون. أخرجت مريم الورقة التي بها الشعارات التي سيهتفون بها الليلة، فرآها أحد الشباب الثلاثة الذين صحبوهن. إبتسم وقال لها:

- كل دي شعارات حتهتفي بيها ومن غير فطار؟.

ابتسمت فقال من جديد:

- ممكن عنك انتي. أنا صحتي كويسة ومتعود علي الجوع.

ضحكوا جميعا. وقدمت له الورقة وعيناها لا تتوقفان عن النظر إليه. لكنه قال:

- أنا بسرعة حاشتري لكم ست علب كشري. أيوة. علشان نستحمل الضرب. مش معقول كمان ننضرب واحنا جعانين.

وارتفعت من جديد ضحكاتهم في الفضاء.

النهاية

ظللت لعدة أيام أفكر في الحكاية الأخيرة. تنميت أن يكون رمضان تسعة وعشرين يوما،لأنه بدا لي أني لن أجد حكاية أكتبها. نزلت إلي الشوارع ساعة الإفطار ومشيت فيها. كان الناس يعطونني أكياسا من العصائر وأنا اعتذر مبتسما وأظل أمشي علني أجد شيئا يثيرني. للحظة فكرت إنه لم تعد بي قدرة علي التأثر بما حولي. جفت الينابيع فيما يبدو. في هذه الحالة ابتعد عن الكتابة. يطول الوقت أو يقصر حتي تمتلئ روحي بجديد. حسدت كتّاب المقالات.في كل يوم جديد حوادث وأحداث. مسرّات وآلام. وثورة تملأ الأرض والفضاء حولهم بالوقائع إلي حد الجنون. قررت أن أكتفي. يعتذر الكاتب عن الحكاية الأخيرة ويتركها لكم. مانشيت جديد. وحبذا لو تركت الصحيفة الصفحة خالية من الكلام، ورسم الفنان سحابة بيضاء حولها فراغ كبير. وهكذا رحت استعد للإفطار. إلا أن جرس الباب دق. من ياتري يأتي ولم يعد أمام مدفع الإفطار غير عشر دقائق. فتحت لأجد البواب أمامي. بدا لي مضطربا أحمر وجهه الأبيض.

– فيه ناس كتير أوي عايزين يطلعوا لحضرتك.

قلت مبتسما:

– يعني ايه؟

– إنزل لهم يا سعادة البيه ما تخليهمش يطلعوا هنا. رجالة وستات. شبان وبنات. فيهم عواجيز كمان. أشكال غريبة ياباشا. دا فيهم ولاد

لابسين البنطلونات بتاعة زمان دي اللي كان اسمها شارلستون. وبنات لا بسة قصير خالص. وبوليس كمان وعساكر جيش.

ضحكت. قلت له:

– انت اتجننت ولا حاجة؟

قال في يأس:

– ياباشا بص من البلكونة وانت تشوف.

ذهبت إلي البلكونة ونظرت فلم أجد أحدا بالشارع. كان هو يقف جواري.

– والله ياباشا كانوا هنا. أنا اتكلمت معاهم بنفسي.

ابتسمت وقلت:

– طيب انزل انت. حصل خير. النهاردة آخر يوم في رمضان. أكيد دماغك ضربت.

كاد يحلف فأشرت له بالسكوت. خرج من الشقة وأغلقت الباب مبتسما. تلفت لأجد عددا كبيرا من الناس يجلسون ويقفون في الصالة. احتلوا المقاعد كلها وراحوا ينظرون الىّ نظرات جامدة لا تتحرك فيها عيونهم. بسم الله الرحمن الرحيم. قلت لنفسي. قال أحدهم. أكبرهم سنا:

– نسيتني يا استاذ. أنا برعي اللي كان عامل كشك سجاير علي ترعة المحمودية. انت لسة فاكر حكاية رباعيات الخيام. أنا مت من زمان. والله يكرمك خليت الناس كلها تعرفني.

وقفت غير قادر علي الكلام. تقدم آخر مني وقال:

– لا يمكن أن تكون نسيتني مرة ثانية. أنا زكريا أحمد ظابط أمن

الدولة اللي قلت عليه غلبان. أنا كمان مت. بس ميتة ربنا. ياريت كان حد قتلني بدري. لكن ربنا اداني العمر علشان اتعذب. علي أي حال أشكرك إنك كتبت عني.

صرخت فيهم:

– انتم مين؟

انطلقوا يضحكون. قالوا في صوت واحد:

– إحنا ابطال الحكايات اللي انت كتبتها. يزعلك إننا نشوفك ونعزمك علي فطار كمان.

لم أرد. رحت اتفرس في وجوههم أبحث عمن أعرفهم شخصيا وقابلتهم في حياتي وهم الأكثر، وعمن خلقتهم من مخيلتي. لم أستطع. قالوا من جديد في صوت واحد:

– ممكن نفطر معاك هنا بس أكيد ما عندكش أكل يكفينا. فاضل دقيقة علي المدفع. اتفضل معانا علشان نلحق.حتفطر وترجع علي طول. نرد لك الجميل.

أخذوني بينهم. أحاطوني وابتسمت لي النساء والفتيات علي قلتهم. وقبل أن أتكلم وجدت نفسي معهم وسط غوطة كبيرة كلها أشجار فاكهة.

– أنا فين؟

قلت لنفسي بصوت خفيض.

– في الجنة.

كانوا لا يزالون حولي. لكنهم صاروا عراة إلا من ورقة توت تستر كلا منهم. والنساء أيضا كن كذلك. ليتني كتبت عن نساء كثيرات

وفتيات أكثر. من يكره أن يري نهودا صغيرة وسط هذه الجنة حقا! وعلي الأرض امتد بساط من سندس وفوقه أطعمة وفاكهة وخمر. جلسوا جميعا وجلست بينهم فرأيت نفسي عاريا مثلهم إلا من ورقة التوت. لكن الذي أدهشني أننا جميعا صرنا في عمر الشباب.أكلنا حتي شبعنا وقالوا معا.

– ما رأيك. تظل معنا أم تعود الي البيت؟

قبل أن اتكلم وقفت ثلاث فتيات ورحن يصببن لنا الخمر في كؤوس من عقيق. رحت أنظر إلي عينيّ التي تصب لي، وهي ابتسمت وراحت تنظر إليّ حتي امتلا الكأس دون ان تدري، وانسكب علي يدي وعلي البساط. انتبهت وانصرفت. قمت وراءها. نسيت الجميع وهي راحت تتقدم في الأدغال حتي إذا لحقت بها قالت لي:

– من هنا طريق العودة.

قلت شاردا:

– أنا لا أذكر من أين جئت. ولا إلي أي مكان أعود.

قالت:

– أنا أعرف.

– هل ستأتين معي؟

– إذا أردت.أنت الذي جعلتني أموت، وأنت الذي تستطيع أن تعيدني الي الحياة.

ارتبكت.وكانت جميلة بشكل لا يحتمل. قلت لها:

– هل يمكن لي البقا ء معكم؟

قالت:

- إذا أردت.

- نعود إليهم وأفكر ماذا أفعل.

عدنا اليهم. وجدهم علي حالة من النشوة والسعادة لا يمكن تخيلها. ترتفع ضحكاهم تملأ الفضاء.

قال أحدهم:

- يمكن أن تبقي معنا لكن لن تجد شيئا تكتبه. كل الناس هنا سعداء.

وقفت أفكر ثم قلت:

- هل كل من أكتب عنهم يأتون الي هنا؟

- طبعا.

- هل يضايقكم أن يأتي إليكم آخرون؟

- لا. حتي الأشرار يصبحون أخيارا هنا.

- إذن دعوني أعود.

- ستصحبك أجمل من كتبت عنهم. تلك التي أبكت حكاية موهما وفراقها لزوجها وأولادها كل من قرأها.

صحبتني الفتاة التي كانت معي في الأدغال. جرت فجريت معها. ما إن دخلنا إلي الغابة حتي انتهت ووجدت نفسي في بيتي وهي معي وكل منا في كامل ملابسه. قالت في تصميم:

- لن أعود إلي هناك.أريد أن أري زوجي وولدىّ. أنت الذي جعلت المرض يأخذني مبكرا. أنا أحب زوجي ولا أنساه. وكما أني دائما معه هو أيضا دائما معي. وهو لا يزال يتألم وأخشي ان يلحق بي. أجل. لابد أن أذهب إليه.

قلت في حيرة:

– صدقيني انا لا أعرف زوجك ولا مكانه.

– أنت الذي ألفت الحكاية كلها، وأنت هكذا تعرف أين أجده.

وقفت مندهشا ورأيت دمعة علي خدها.

– لماذا حقا لم تتركني معه.أرجوك اجمع بيننا من جديد.

لم أجد لدي طاقة علي الكلام. أخذتها من يدها ورحت أمشي بها بين شوارع المدينة أبحث عن بيت لا أعرفه. وأعرف أنه لن تعود الي القدرة للعودة إلي بيتي إلا إذا عادت إليّ القدرة علي التأليف فأنهي الحكاية.

أنتهت الحكايات

كتبت العام الماضي

٢٠١١ م

للمؤلف

أولاً: الروايات..

١- في كل أسبوع يوم جمعة

الدار المصرية اللبنانية الطبعة الثالثة ٢٠١٠

الدار المصرية اللبنانية الطبعة الرابعة ٢٠١١

٢- شهد القلعة الدار للنشر ٢٠٠٧

٣- عتبات البهجة دار الشروق الطبعة الثانية٢٠٠٥

٤- بُرج العذراء دار الآداب ٢٠٠٣

٥- طيور العنبر دار الهلال طبعة اولي ٢٠٠٠

دار الشروق طبعة ثالثة ٢٠٠٩

٦- لا أحد ينام في الأسكندرية دار الهلال طبعة اولي ١٩٩٦

دار الشروق طبعة تاسعة ٢٠٠٩

٧- قناديل البحر دار سعاد الصباح الطبعة الولي ١٩٩٢

دار الشروق الطبعة الرابعة ٢٠٠٦

٨- البلدة الأخري دار رياض الريس الطبعة الاولي ١٩٩٠

دار الشروق الطبعة الخامسة ٢٠٠٧

٩- بيت الياسمين دار الفكر العربي الطبعة الاولي ١٩٩٦

الطبعة الخامسة دار الشروق ٢٠٠٦

١٠- الصياد واليمام مجلة الكرمل عدد-١١

دار المستقبل الطبعة الولي ١٩٩٥

دار لشروق الطبعة السابعة ٢٠٠٦

١١- المسافات دار المستقبل العربي ١٩٨٣

دار الشروق الطبعة السادسة ٢٠٠٦

١٢- ليلة العشق والدم

مطبوعات القاهرة- الطبعة الاولي ١٩٨٢

دار الشروق الطبعة الرابعة ٢٠٠٦

١٣- في الصيف السابع والستين

دار الثقافة الجديدة الطبعة الاولي ١٩٧٩

دار الشروق الطبعة الثالثة ٢٠٠٨

ثانياً : القصص القصيرة ..

-مشاهد صغيرة حول سور كبير وزارة الثقافة السورية ١٩٨٢

هيئة الكتاب ١٩٩٤

٢– الشجرة والعصافير مختارات فصول هيئة الكتاب ١٩٨٥

مكتبة الاسرة ١٩٧٥

٣–إغلاق النوافذ

هيئة الكتاب – مختارات فصول ١٩٩٢

٤–فضاءات

مختارات سلسلة أصوات أدبية – الثقافة الجماهيرية ١٩٩٢

مكتبة الاسرة ٢٠٠٣

٥– سُفن قديمة

دار ميريت للنشر ٢٠٠١

مكتبة الاسرة ٢٠٠٢

٦– ليلة الجيلا مختارات

مكتبة الاسرة ٢٠٠٣

«القصص القصيرة كلها الآن في كتاب واحد بعنوان (أشجار السراب) بدار الشروق»

ثالثاً: كتب متنوعة ..

١– مذكرات عبد اميركي

– ترجمة عن الانجليزية . تاليف فريدريك دوجلاس . دار الشروق ٢٠٠٧

٢- ٢٤ ساعة قبل الحرب مسرحية - المجلس الاعلي للثقافة ٢٠٠١

٣- اين تذهب طيور المحيط.. أدب رحلات

مكتبة الاسرة ٢٠٠٩

٤- غواية الاسكندرية مكتبة الاسرة ٢٠٠٥

٥- ما وراء الخراب كتاب الهلال ٢٠٠٨

٦- السبت فات والحد فات بيت الياسمين ٢٠١٠

٧- لكل أرض ميلاد .. (أيام التحرير) دار أخبار اليوم ٢٠١١

رابعاً : الترجمات إلي لغات أجنبية ..

١-البلدة الاخري.

- الي الفرنسية - دار آكت سود ١٩٩٤ - ترجمة كاترين تسيبه توماس.

- الي الانجليزية ١٩٩٧ قسم النشر بالجامعة الامريكية -ترجمة فاروق عبد الوهاب.

- الي الألمانية -دار ارابش بوك -ترجمة مني النجار.

٢-لا أحد ينام في الأسكندرية

- الي الفرنسية -٢٠٠١- دار ديسكليه دي بروير - ترجمة سهير فهمي.

- الي الانجليزية - قسم النشر بالجامعة المريكية ١٩٩٩ -ترجمة فاروق عبد الوهاب .

٣- بيت الياسمين

- الي الفرنسية - دار آكت سود -ترجمة نشوي الأزهري.

- الي الإيطالية ٢٠٠٦ - دار نشر جوفينس -ترجمة فرانسيسكو دي انجليس

- إلى الأنجليزية ترجمة د.نها رضوان عن دار نشر

«Interlink World Fiction»

٤- طيور العنبر .

- الي الإنجليزية ٢٠٠٦قسم النشر بالجامعة الأمريكية ترجمة فاروق عبد الوهاب

٥-المسافات

- الي الإنجليزية ٢٠٠٦ - جامعة سيراكيوز - ترجمة حسام ابو العلا

٦-عتبات البهجة

- الي الفرنسية -دار نشر فولي دونكر - ترجمة هدي فوركاد

- الي اليونانية ترجمة بيرسا باموك

الجوائز :

١- جائزة نجيب محفوظ من الجامعة الامريكية ١٩٩٦

٢- جائزة الدولة للتفوق في الاداب ٢٠٠٤

٣- جائزة الدولة التقديرية في الاداب ٢٠٠٨

٤- جائزة ساويرس للرواية لكبار الكتاب.

.. عن رواية في كل أسبوع يوم جمعة ٢٠١١

الموقع الألكترونى : www.shorouk.com/abdelmeguid

الأيميل : Ibrahimabdelmeguid@hotmail.com

twitter : @ibmeguid

Facebook: ibrahimabdelmeguid

محتويات الكتاب

ساعة الإفطار ليست مثل غيرها. هى ساعة يصفو فيها الكون والناس لكنها أيضاً ساعة لا تنسى، فإذا حدث فيها شئ غير مالوف يأخذ القلوب والأرواح إلى أعلى درجات الدهشة والمفاجأة. لا الحب فيها مثل غيره، ولا الضحك، ولا الحزن، ولا اللقاء، ولا الفراق.

هذه حكايات يرويها الكاتب الكبير إبراهيم عبد المجيد لن ينساها القارئ فى ساعة يصل فيها اليوم إلى ذروته.

***

إبراهيم عبد المجيد كاتب وروائي له العديد من الأعمال الأدبية والفكرية. ترجمت أعماله لكثير من اللغات، وحاز على جوائز عديدة.

ومن اشهر هذه الأعمال لا أحد ينام فى الأسكندرية، طيور العنبر، البلدة الأخرى، بيت الياسمين، من الذى يصنع الأ... ايام التحرير، وغيرها.

هنا ثلاثون حكاية بعدد أيام الشهر الكريم.. ... الكاتب لغة الحكى البسيطة التى تليق بالحكاية كفن ... الشعوب.



